ملف المستقبل

روايات
مصرية للجيب

13

سلسلة
الأعداد
الخاصة

الطَّيف



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ التجربة الرهيبة ..

انطلقت زفرة حارة ، مفعمة بالضجر والسخط ، من أعمق أعماق (أكرم) ، وهو ينطلق بسيارته الجديدة ، عبر طريق القيادة السريعة ، خارج حدود (القاهرة) الجديدة ، ومطَّ شفتيه ، وهو يضغط أحد أزرار تابلوه السيارة ، قائلاً :

ـ لن يمكننى اعتياد هذه الأشياء أبدًا ..

ابتسم (نور) الجالس إلى جواره ، وتراجع فى مقعده باسترخاء ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا يمكنك الوقوف فى وجه التقدُّم يا صديقى .. العالم كله يتجه الآن إلى التعامل مع السيارات الكهربية الجديدة ؛ حفاظًا على البيئة وحدًّا للتلوّث ، الذى كاد يفنى كوكبنا يومًا .

زفر (أكرم) مرة أخرى ، متمتمًا فى سخط :

ـ مازلت أفتقد سيارتى القديمة .

ضحك (نور) ، قائلاً :

ـ أراهن على أنها أيضًا تفتقدك .

ران عليهما الصمت لحظة ، و (أكرم) يواصل الانطلاق بسيارته الجديدة ، قبل أن يسأل (نور) بغتة :

ـ قل لى يا (نور) : هل تؤمن بهذا حقًّا ؟!

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أؤمن بماذا ؟!

قال (أكرم) ، وقد بدا عليه اهتمام بالغ :

ـ بأنه حتى الجوامد تتعاطف مع من ترتبط به .. أقصد حديثك حول سيارتى القديمة ، وافتقادها المحتمل لى .

بدت علامات التفكير على وجه (نور) بضع لحظات ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ كانت مجرَّد عبارة .

هتف (أكرم) :

ـ ولكنك تردَّدت ، وفكَّرت فى الأمر بضع لحظات .

مطَّ (نور) شفتيه ، قائلاً :

ـ لقد استهوتنى الفكرة فى الواقع .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا :

ـ ثم إن هناك دراسات جادة حول هذا الأمر بالفعل ، ومنذ ثمانينات القرن العشرين ، وكلها توصَّلت إلى نتائج مدهشة ، وإن عارضها الكثير من العلماء التقليديين .. ربما لأن عقولهم لم تنجح فى هضم ارتباط المواد الجامدة بعواطف حيوية(*) .

سأله (أكرم) فى اهتمام أكثر :

ـ ولكن ماذا عنك أنت ؟! ماذا عن رأيك الخاص ؟!

تنهدَّ (نور) قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ فى عقيدتنا ، كل شىء يسبِّح بحمد اللّه (سبحانه وتعالى) يا (أكرم) ، حتى الجبال والأشجار .. وهذا يعنى أن كل شىء فى الوجود يشعر ، ويتعاطف ، ويعبد .. فلِمَ أرفض منطق ارتباط الجوامد بالبشر .

هتف (أكرم) فى حماس بالغ :

ـ كنت واثقًا من هذا .. سيارتى الحبيبة كانت خير دليل على ما تقول ؛ فهى لم تكن تعمل بكامل طاقتها وكفاءتها ،

(*) حقيقة .

إلا معى وحدى ، ولم تشك قط أو تعطل ، عندما كنت بحاجة إليها .

ثم تلاشى حماسه بغتة ، وهو يعضّ شفته السفلى ، مستطردًا فى مرارة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد تخليت عنها ، وأقود الآن سيارة كهربائية حديثة .

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ إنك لم تتخلَّ عنها يا صديقى ، ولكن قوانين المرور الجديدة هى التى اضطرتك لهذا ، عندما منعت استخدام السيارات ذات محركات الاحتراق الداخلى التقليدية .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ قوانين سَخيفة !

ربَّت (نور) على كتفه مرة أخرى ، ثم مال ناحيته ، وهو يسأله بابتسامة كبيرة :

ـ ولكن لماذا هذا الحديث الآن ؟

صمت (أكرم) بضع لحظات ، وهو يمطّ شفتيه فى ضجر ، قبل أن يلوِّح بيده ، قائلاً ، فى شىء من الحدَّة :

ـ ربما أحاول نسيان المهمة البغيضة ، التى نحن بصددها .

عاد (نور) يعتدل فى مقعده ، وهو يقول :

ـ إنها مجرَّد تجربة يا صديقى .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ نعم .. مجرَّد تجربة ، ولكنها تجربة يتمّ إجراؤها على مجرم قاتل ، محكوم عليه بالإعدام .

قال (نور) ، محاولاً تهدئته :

ـ الرجل تطوّع من تلقاء نفسه يا (أكرم) .

صاح (أكرم) :

ـ لأنه يجهل ما سيحدث .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ على العكس يا صديقى .. صحيح أن التجربة تتم لحساب المؤسسة العسكرية ؛ لاختبار عقار جديد ، قادر على تغيير سمات الخلية البشرية ، إلا أن العلماء المشرفين على التجربة ، قد شرحوا للرجل كل شىء ، بمنتهى الصدق

والأمانة ، وهو يعلم كل ما يمكن أن يحدث ، ويدرك كل الاحتمالات الواردة ، وعلى الرغم من هذا فقد تطوَّع للقيام بالتجربة ، أملاً فى الحصول على تخفيف لحكم إعدامه ، فى حالة نجاحها ، بحيث يواجه عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بدلاً منها .

قال (أكرم) فى حنق :

ـ وهل تعتقد أن لديه خيارًا ، فى هذه الحالة ؟!

أجابه (نور) فى اقتضاب :

ـ بالتأكيد .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ على الرغم من معلوماتى الضئيلة عن الأمر ، إلا أنهم يؤكدون أنه ، فى حالة نجاح هذه التجربة ، سيتمكَّن العلماء من تغيير قدرات الخلية البشرية ، لدى رجال الكوماندوز والقوات الخاصة ، بحيث يمكنهم اكتساب صلابة غير عادية ، تجعل أجسادهم مضادة للرصاصات ، وقادرة على احتمال درجات عالية جدًّا من الألم ، يستحيل أن يحتملها شخص عادى .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ وهل تعتقد أنه من الحكمة إجراء تجربة كهذه ، على مجرم قاتل ؟! ماذا لو نجحت التجربة ، واكتسب جسده تلك الصلابة الهائلة بالفعل ؟! ألا تعتقد أنه سيستخدمها للفرار من سجنه ، وتحطيم كل قيوده ؟!

ابتسم (نور) قائلاً :

ـ اطمئن .. لقد اتخذوا كل الاحتياطات اللازمة ، لضمان عدم حدوث هذا .

سأله فى توتر :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ التجربة سيتم إجراؤها على الرجل ، وهو داخل حجرة من الزجاج السميك ، المضاد للقنابل اليدوية ، وعلى السطح الداخلى لذلك الزجاج ، توجد شبكة من الأسلاك الرفيعة جدًّا ، والتى يسرى فيها تيار كهربى ، بقوة نصف مليون فولت(*)، كما أن الحجرة مزوَّدة بأنابيب خاصة ، ينطلق منها

(★) الفولت : الوحدة العملية للقوة الدافعة الكهربية ، وفرق الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج تيارًا مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيرًا ثابتًا ، على موصل مقاومته الكهربية أوم واحد .

غاز منوِّم ومخدِّر قوى ، بضغطة زر واحدة .. أضف إلى هذا أن معصميه وكاحليه سيقيدان بأغلال فولاذية .

قال (أكرم) ، فى سخرية عصبية :

ـ عظيم .. ألن يحاولوا شنقه أيضًا ؟!

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى دهشة ، قبل أن يضحك ، قائلاً :

ـ الواقع أنه لا يمكننى استيعابك اليوم يا صديقى .. هل ترفض ذلك القاتل أم تتعاطف معه ؟!

مطَّ (أكرم) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى ..

ثم انحرف بالسيارة ، متجاوزًا طريق القيادة السريعة ، نحو المنطقة العلمية العسكرية ، التى لاحت من بعيد ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ إنها هذه السيارة بالتأكيد .. لا ريب فى أنها تفسد تفكيرى .

ضحك (نور) مرة أخرى ، وعاد يربِّت على كتفه ، قائلاً :

ـ لا عليك .. لقد وصلنا تقريبًا ، وأعتقد أن الأمر لن يطول كثيرًا ، قبل أن نعود إلى منزلينا وأسرتينا .

لم يكن يدرك ، وهو ينطق هذه العبارة الأخيرة ، وسيارة (أكرم) تتجه نحو المنطقة العلمية العسكرية مباشرة ، أن ما تصوَّر أنه أمر لن يطول ، سيصبح بعد قليل مجرَّد أمل .. أمل بعيد المنال ..

جدًا ..

* * *

كانت إجراءات الأمن صارمة إلى أقصى حد ، فى المنطقة العلمية العسكرية ..

أسوار مكهربة ، وبوَّابات أمن إليكترونية ، وفحص للبصمات ، وقزحية العين ، وشحمة الأذن ..

ثم إن المكان كله كان مزوَّدًا بنظام أمنى دقيق ، بحيث يمكن إغلاق كل مداخله ومخارجه ، وأبوابه ونوافذه ، بضغطة زر واحدة ، عند حدوث أى هجوم خارجى ، أو محاولة داخلية للهرب ، بحيث يتحوَّل المكان كله ، خلال خمس عشرة ثانية فحسب ، إلى قلعة حصينة ، لا يمكن حتى لذبابة الدخول إليه ، أو الخروج منه ..

لذا ، فقد شعر (أكرم) بالكثير من الاطمئنان ، مما جعله يميل على أذن (نور) ، وهما يتجهان إلى حجرة التجارب ، هامسًا :

ـ هل تعلم : إنهم يروقون لى بالفعل .

ابتسم (نور) مغمغمًا :

ـ ألم أقل لك .

فى الحجرة ، استقبلهما العقيد (سليمان حازم) ، قائد مجموعة التجارب ، وصافحهما فى حزم جاد ، قائلاً :

ـ عظيم .. وصلتما فى موعدكما تمامًا .. إننا نستعد لإجراء التجربة بعد قليل .

تطلَّع (أكرم) إلى وجوه الرجال الخمسة الآخرين ، داخل الحجرة ، والذين اكتفوا بإلقاء نظرة سريعة عليه وعلى (نور) ، قبل أن يواصلوا عملهم ، فى بعض الأجهزة ، التى لم ير لها مثيلاً من قبل ..

كان ثلاثة منهم يرتدون المعاطف البيضاء ، فى حين كان هناك ضابط برتبة مقدَّم ، وآخر برتبة ملازم أوَّل ، يشاركان المجموعة عملها..

وفى منتصف القاعة تمامًا ، كانت تستقر تلك الحجرة الزجاجية ..

وبداخلها ، وعلى منضدة من الخشب ، اتصلت بها عشرات الأسلاك والخراطيم ، كان يرقد شخص طويل القامة ، متين البنيان ، مفتول العضلات ، أصلع الرأس تمامًا ، يرتدى زى السجن الأحمر اللون ، الذى يُعلن أن صاحبه ينتظر تنفيذ حكم بالإعدام ..

وفى هدوء عجيب ـ وكأنما شعر ذلك القاتل بتطلُّع (أكرم) إليه ـ استدار برأسه نحوه ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ..

ثم ابتسم ..

ومع ابتسامته ، انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ يا إلهى !

شعر العقيد (سليمان) برد فعلهما ، فاستدار يلقى نظرة على القاتل بدوره ، قبل أن يعود ببصره إليهما ، قائلاً :

ـ ابتسامة سمكة قرش مفترسة .. أليس كذلك ؟!

هتف (أكرم) فى سرعة :

- بالضبط .

وغمغم (نور) :

- شكله لا يوحى قط بالارتياح .

قال العقيد (سليمان) فى صرامة :

- ماذا تتوقَّع من سفاح مثله ؟!

تساءل (نور) فى اهتمام :

- سفاح ؟!

أجابه العقيد ، وهو يشير إلى القفص الزجاجى :

- نعم .. لقد قتل خمسة من رجال دورية الشرطة ، وشرع فى قتل اثنين من المارة ، لولا وصول الدورية الاحتياطية ، وإلقاء القبض عليه ، بعد قتال غاية فى العنف ، أصيب فيه رجل شرطة آخر .

كرَّر (أكرم) ، وهو يحدِّق فى وجه القاتل بامتعاض :

- يا إلهى !

ابتسم القاتل مرة أخرى ، وكأنما يسمع أحاديثهم ، وبدت أسنانه الكبيرة الحادة كأسنان قرش قاتل بالفعل ، قبل أن يدير رأسه ، ويسترخى على المنضدة ، وكل الأسلاك والخراطيم تتصل بجسده ، وصدره ، وذراعيه ..

وانعقد حاجبا (أكرم) مرة ثانية ..

وفى أعماقه ، وكرد فعل غريزى ، تمنى أن تفشل التجربة ..

كان من المستحيل عليه أن يتصوَّر وحشًا كهذا ، وقد اكتسب صلابة الصخور ، وقوة الأسود ..

من المستحيل تمامًا ..

ولكن أمنيته هذه جاءت متأخرة إلى حد كبير ..

ففى نفس اللحظة ، التى دارت فيها بخلده ، كان طاقم العلماء ، الذى يجمع بين العسكريين والمدنيين ، يضع لمساته الأخيرة ، استعدادًا لبدء التجربة ..

التجربة الرهيبة ..

* * *

« التدخين محظور تمامًا هنا .. »

انطلق التحذير صارمًا ، من بين شفتى حارس الأمن ، فى الجزء الخلفى من المنطقة العلمية العسكرية ، فأسرع سائق سيارة نقل السوائل الخاصة يلقى سيجارته أرضًا ، ويسحقها بقدمه ، قائلاً فى ارتباك :

ـ آه .. لقد نسيت .

واجهه الحارس فى صرامة قاسية ، قائلاً :

ـ لا تنس مرة أخرى يا رجل ، فالنسيان والغفلة هنا ، يمكن أن يتسببا فى كارثة ، لا أحد يعلم مداها .. هل نسيت أننا نتعامل مع كيماويات قابلة للاحتراق ، فى بعض الأحيان ؟!

حاول السائق تخفيف الموقف ، وهو يشير بيده إشارة غير ذات معنى .. قائلاً :

ـ اطمئن .. نحن لا ننقل سائلاً قابلاً للاشتعال هذه المرة .

ثم أشار بيده إلى أسطوانة سميكة ، تمتدّ من مبنى المعامل إلى خزان سيارته الخاص ، مستطردًا :

ـ إنه قليل من النيتروجين السائل .

زمجر الحارس ، قائلاً :

لا تستهن بالنيتروجين السائل ، إن نقطة منه كافية لتجميد جسدك كله فى لحظات .

بُهِتَ السائق ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! إلى هذا الحد ؟! أنا أعلم أن درجة الحرارة داخل خزان السيارة الخاص منخفضة إلى حد كبير(*) ، ولكننى لم أتصور حتى حدوث هذا .

لوَّح الحارس بسبَّابته فى وجهه ، قائلاً فى صرامة :

ـ لقد حذَّرتك .

ازدرد السائق لعابه ، مغمغمًا :

ـ اطمئن .

رسم على شفتيه ابتسامة باهته ، حتى ابتعد الحارس بمسافة كافية ، ثم تلفَّت حوله ، مغمغمًا فى عصبية :

(★) النيتروجين : عنصر غازى ، يقع فى الصف الخامس من الجدول الدورى ، كشفه (رادرفورد) عام ١٧٧٢ م ، عدده الذرى ٢٧ ، نقطة انصهاره (ـ ٢٠٩،٨٦°م) ، ونقطة غليانه (ـ ١٩٥،٨°م) ، والنيتروجين من أهم مكونات الغلاف الجوى ، وتبلغ نسبته فى الهواء العادى ٧٨،٠٣ ٪ حجمًا ، وهو يكوّن مع الهيدروجين ، فى درجات الحرارة الشديدة غاز الأمونيا .

- من السهل أن تنصح بكل هذا ، مادمت لست مدخنًا ، أما أنا ، فأكاد أموت لهفة ، على قليل من الدخان .

توقَّف بصره عند باب معدنى ، تخفيه سيارته عن الأنظار تقريبًا ، فابتسم فى خبث ، وغمغم ، وهو يدور حول سيارته ، متجهًا نحوه :

- هذه المرة لن يمكنك رؤيتى أبدًا أيها المتحذلق .

التقط سيجارة من علبته ، ودسَّها بين شفتيه ، قبل حتى أن يبلغ ذلك الباب المعدنى ، وفتحه فى سرعة ، دون أن ينتبه إلى التحذير الكبير عليه ، ودفع نفسه داخل المكان المظلم ، وهو يكمل :

- سأدخن سيجارتين على الأقل ، قبل أن يأتى ذلك الحارس السخيف .

أغلق الباب خلفه قليلاً ، ليسمح لقليل من الضوء بالنفاذ ، ثم أشعل قدَّاحته ، وأدنى شعلتها من طرف السيجارة ، حتى اشتعلت ، فغمغم ، وهو ينفث الدخان فى استمتاع :

- عظيم .. ويقولون إن التدخين ضار و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما انزلقت القدَّاحة المشتعلة من يده ، وسقطت وسط كومة من الأسلاك ، بالقرب من قدميه ..

وبلهفة مذعورة ، انحنى محاولاً التقاط القدَّاحة المشتعلة ، ولكن رأسه ارتطم بالباب فى عنف ..

وعندما ارتدَّ معتدلاً ، فوجئ بالنيران تمتدّ إلى كومة الأسلاك ، ثم ترتفع منها ألسنة اللهب فى سرعة مخيفة ، فتراجع بحركة حادة ، ودفع الباب المعدنى ، ليلقى جسده خارج المكان ، وهو يهتف :

- النيران .. النيران .. النجدة .

لم يكد ذلك الهتاف ينطلق من حلقه ، حتى وقع بصره على ذلك التحذير الكبير ، على الباب المعدنى ..

وعندئذ .. عندئذ فقط ، أدرك هول ما فعل ..

وانتفض جسده كله فى رعب ..

رعب بلا حدود ..

* * *

كل شىء أصبح جاهزًا لبدء التجربة ..

أضواء القاعة انخفضت إلى حد كبير ، بحيث صار الضوء يغمر تلك الحجرة الزجاجية فى منتصفها فحسب ، حيث يرقد القاتل بملامحه الجافة القاسية ، والأسلاك

والأنابيب الدقيقة تمتدّ من جسده ، إلى عشرات الأجهزة المحيطة به ..

وفى بطء ، بدأ محقن آلى عمله ، ليدفع ، عبر أنابيب رفيعة ، سائلاً أزرق اللون ، فى عروق القاتل ..

وغمغم العقيد (سليمان) ، فى صوت خافت :

ـ هذا العقار سينتشر فى خلايا جسده ، خلال دقيقة واحدة ، بفضل خاصية انتشار سريع ، خاصة وأننا نحقنه فى خمسة أوردة فى وقت واحد .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما أهميته بالضبط ؟!

أجابه بنفس الخفوت :

ـ إنه يهيئ الخلايا للتعامل مع ذلك المزيج ، من أشعة (جاما) ، والموجات فوق الصوتية ، بالإضافة إلى تيار كهربى ، بقوة مائة فولت .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا كل هذا ؟!

أجابه الرجل فى رصانة واهتمام :

ـ للحصول على التأثير المطلوب .

مع آخر كلماته ، قال الدكتور (عبد الحكيم مختار) ، رئيس الفريق العلمى ، وهو يتجه بسبَّابته نحو زر أصفر صغير :

ـ فليبدأ العد التنازلى .

بدأت الأرقام تظهر ، فى تتابع تنازلى ، على شاشة كبيرة ، فى الحجرة الزجاجية ، فى نفس الوقت الذى راحت فيه الشاشات تترجم كل ما يصلها من إشارات ، عبر الأسلاك والأنابيب المتصلة بجسد القاتل ، لتحوِّله إلى أرقام ومؤشرات ، توضِّح مدى انتشار العقار فى جسده وخلاياه ..

وبدأ التوتر يسرى فى جسد (أكرم) ..

وتعلَّقت عِيناه بشاشة العد التنازلى ، وهو يتساءل عن سبب انتدابهما ـ (نور) وهو ـ من المخابرات العلمية ؛ لحضور هذه التجربة الرهيبة ..

وتوالت الأعداد التنازلية فى سرعة ..

ستة ..

خمسة ..

أربعة ..

ثلاثة ..

اثنان ..

واحد ..

« الآن .. » .

نطقها الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يضغط الزر الأصفر فى حزم ..

وفى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الزر ، وبتوافق عجيب مدهش ، دوت تلك الفرقعة المكتومة فى الخارج ..

ومع دويها ، تألَّقت شبكة الأسلاك ، داخل الحجرة الزجاجية ، على نحو مخيف ، وتطايرت منها شرارات كهربية عنيفة ..

وتراجع الكل فى حركة غريزية ، والعقيد (سليمان) يهتف :

ـ يا إلهى ! ماذا حدث ؟!

قبل أن يكتمل هتافه ، تفجَّرت اثنتان من شاشات الفحص ، وانطلقت الشرارات من الأجهزة المحيطة بالقاتل و ...

وفجأة ، انفصل جزء من شبكة الأسلاك الداخلية ، وسقط فوق القاتل ، الذى أطلق صرخة رهيبة ، قبل أن ترتطم الشبكة به ، وينتفض جسده بمنتهى العنف ، وهو يتألَّق كألف مصباح كهربى ، على نحو جعل (أكرم) يصرخ :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ومع صرخته ، انقطع التيار الكهربى بغتة ، وساد القاعة ظلام دامس ، ارتفع وسطه لهاث الموجودين وشهقاتهم ، وصوت العقيد (سليمان) ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

كان من الواضح أنه قد أطلق هتافه الأخير عبر جهاز اتصال خاص ، إذ انبعث فى المكان صوت يقول فى توتر :

ـ إنه حادث ياسيادة العقيد .. حجرة الكهرباء الرئيسية كادت تحترق ، ولكننا نسيطر على الأمر الآن ، والمولد الاحتياطى سيعمل ، خلال ثوان معدودة .

هتف به العقيد (سليمان) ، والكل يستمع إليه فى الظلام ، بمنتهى القلق والاهتمام :

ـ وماذا عن نظام الأمن ؟!

انبعث ذلك الصوت مرة أخرى ، يجيب :

ـ لقد انطلق فور إصابة الحجرة الرئيسية يا سيِّدى .. كل المنافذ والنوافذ الآن مغلقة بإحكام ، ولكن كل شىء سيعود إلى عهده ، فور عمل المولِّد الاحتياطى .

مع آخر حروف كلمات صاحب الصوت ، عادت الأضواء تسطع مرة أخرى ، داخل الحجرة الزجاجية ، فالتفتت إليها عيون الجميع بحركة غريزية ، وبلهفة قلقة ، لمعرفة مصير ذلك القاتل ، بعد أن أصابته شبكة أسلاك ، تحمل نصف مليون فولت ، و ...

وانطلقت فى المكان شهقات قوية مذعورة ..

فداخل الحجرة الزجاجية ، التى مازالت مغلقة بإحكام ، كانت شبكة الأسلاك ملقاة فوق المنضدة التى تتوسَّط المكان ، والتى ألقيت حولها كل الأسلاك والأنابيب ، التى تمتدّ إلى الأجهزة العلمية المحترقة ، وكذلك كانت الأغلال المعدنية ملقاة أرضًا ..

أما القاتل ، فلم يكن له أثر هناك ..

أدنى أثر .

* * *

٢ ـ الاختفاء ..

التقى حاجبا خبير الأمن فى المنطقة العلمية العسكرية ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى توتر ، وأشار بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟! المفترض أن يعود كل شىء إلى طبيعته فور عمل المولِّد الاحتياطى .

أجابه مساعده ، وهو يحاول بدوره استعادة السيطرة على الموقف :

ـ لاحظ أنه قد حدث ارتفاع مباغت ، فى شدة التيار الكهربى ، وربما أفسد هذا شيئًا من برنامج الأمن .

هتف الخبير فى عصبية :

ـ هراء !! هذا البرنامج محصن ، ضد أية اضطربات مباغتة ، وهى أوَّل مرة يفعل فيها هذا .

غمغم مساعده فى حذر :

ـ لكل شىء بداية .

سألهما رئيس الأمن فى توتر :

ـ هل لى أن أعرف ما الذى حدث بالضبط ؟!

أجابه خبير الأمن :

ـ جهاز الأمن الإليكترونى ، اعتبر ما حدث لحجرة الكهرباء والطاقة الرئيسية محاولة هجوم خارجية ، فأغلق كل المداخل والمخارج للمبنى ، وكل نوافذه ، وعزل طوابقه عن بعضها ، وأوقف المصاعد ، والسلالم الكهربائية ، وكان من المفترض أن يدرك طبيعة الموقف ، عندما يبدأ المولِّد الاحتياطى عمله ، وتدرك أجهزة المراقبة الآلية طبيعة الموقف ، ولكن يبدو أن تلفًا قد أصاب جهاز الكمبيوتر الرئيسى ، فافترض حالة الهجوم الخارجية الأوَّلية ، ومازال يصرّ على عزل المبنى وطوابقه .

قال رئيس الأمن فى هلع :

ـ هل تعنى أن كل طابق صار معزولاً تمامًا الآن ؟!

أومأ خبير الأمن برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ والمبنى كله كذلك يا سيِّدى .. لم يعد من الممكن أن يدخل شخص واحد إليه ، أو يخرج منه ، قبل حل هذه المشكلة .

سأله رئيس الأمن فى عصبية :

ـ وكم سيستغرق حل هذه المشكلة ؟!

أشاح المساعد بوجهه ، متحاشيًا المواجهة ، فى حين ازدرد خبير الأمن لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ ليس أقل من ست ساعات .

صرخ رئيس الأمن فى ارتياع :

ـ ست ساعات ؟!

هتف خبير الأمن مستدركًا :

ـ ربما خمس .

صاح رئيس الأمن :

ـ ولو .

ثم مال نحوه مستطردًا فى غضب :

ـ هل تدرك ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال خمس ساعات ؟!

خطأ يا رئيس الأمن ..

السؤال الحقيقى هو : هل تدرك أنت ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال خمس ساعات ، داخل طابق معزول ، مع قاتل طليق ؟!

قاتل تحوَّل ، بفعل تجربة رهيبة إلى حالة خاصة ..

خاصة جدًّا ..

جدًّا ..

* * *

لدقيقة كاملة ، حدَّق الكل فى الحجرة الزجاجية الخالية ، والأغلال الملقاة أرضًا ، فى ذهول تام ، وصمت مطبق ، ثم لم يلبث (أكرم) أن قطع هذا الصمت ، وهو يهتف :

ـ رباه ، ! لقد اختفى تمامًا ..

غمغم الدكتور (صبرى) فى ذهول :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يحدث هذا !

وهتف الدكتور (أيمن) ، وهو يلوِّح بيده ، فى شىء من الذعر :

ـ لم يحدث هذا لحيوانات التجارب قط .

قال الملازم (وائل) فى عصبية :

ـ هناك عامل أضيف إلى هذه التجربة ، لم تخبره حيوانات التجارب قط .

سأله الدكتور أيمن فى حدة :

ـ أى عامل هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نصف مليون فولت .

هتف العقيد (سليمان) ، وهو يحدِّق فى (نور) :

ـ أتقصد أنه احترق بفعل تلك الشحنة الرهيبة ؟!

قال الدكتور (عبد الحكيم) متوترًا :

ـ لو احترق ، لبقى شىء من جسده على الأقل .

تساءل (أكرم) ، وهو يحدِّق فى الحجرة الزجاجية :

ـ ربما تلاشىَ تمامًا ، بفعل التيار القوى ، والعقار الذى تم حقنه به .

هتف الدكتور (صبرى) :

ـ مستحيل !

اقترب (أكرم) من الحجرة الزجاجية فى حذرٍ ، قائلاً :

ـ وماذا لو أن ...

قبل أن يتمَّ عبارتـه ، تجمَّد جسده فى مكانـه بغتـة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى أرضية الحجرة الزجاجية ، خلف أحد الأجهزة الكبيرة ، فالتقـى حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ ماذا هناك .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ، ولكنه عجز عن النطق ، وهو يلوِّح بسبَّابته إلى حيث تنظر عيناه ..

وبسـرعة غريزيـة ، لاحـق الكـل سـبَّابته ، واتجهـوا بأبصارهم إلى حيث يشير ، و ..

وكان (نور) أول من هتف ، وهو يرتدّ كالمصعوق :

ـ يا إلهى !

أما الباقون ، فقـد انطلقت من حلوقهم شـهقة ، كـادت معها أفئدتهم تثب خارج أجسادهم ..

فهناك ، وخلـف ذلك الجهـاز ، الـذى يحتـلّ أحد أركـان الحجرة الزجاجية ، تكوَّم جسد القاتل ..

وكلمة جسد هنا مجازية تمامًا ..



فهناك ، وخلف ذلك الجهاز ، الذى يحتلّ أحد أركان الحجرة الزجاجية ، تكوَّم جسد القاتل .

فما رآه الكل ، لم يكن جسدًا على الإطلاق ..

بل كان شبحًا ..

طيفًا هلاميًا نصف شفاف ، له نفس هيئة وتكوين ذلك القاتل ..

وفى ذهول ، غمغم الدكتور (صبرى) :

ـ مستحيل ! مستحيل !

أما الدكتور (عبد الحكيم) ، فقال فى لهجة أقرب إلى الارتياع :

ـ ماذا أصاب جسده .. لقد .. لقد أصبح أشبه برجل خفى .

تمتم الدكتور (أيمن) :

ـ نصف مليون فولت .

وهتف الملازم (وائل) :

ـ رباه ! لقد قتلناه بأسلوب بشع ، دون أن نقصد .

قال المقدَّم (إبراهيم) فى حزم ، وهو يلصق وجهه بجدار الحجرة الزجاجية :

ـ كلمة قتلناه هذه سابقة لأوانها .

التفت إليه الدكتور (أيمن) بحركة حادة ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

تقدَّم (نور) من الجدار الزجاجى بدوره ، وهو يقول :

ـ الأمر واضح للغاية ياسادة .. زميلكم دقيق تمامًا فيما قاله ، فربما صنعت تجربتكم من ذلك القاتل طيفًا نصف شفاف ، وربما أصابه نصف مليون فولت دفعة واحدة ، ولكننا لا ندرى بعد ما إذا كان قد لقى مصرعه ، أم ...

قاطعه الدكتور (عبد الحكيم) فى استنكار :

ـ أم ماذا يا هذا ؟! هل تتوقَّع أن يحيا رجل ، بعد أن يصاب بصدمة كهربية كهذه ؟!

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ لو أنك واجهت ما واجهناه ، وخضت ما خضناه ، لما استنكرت الأمر بهذه الحدة ..

ثم استدار إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك يا (نور) ؟!

كان (نور) معقود الحاجبين ، يتطلَّع إلى ذلك الطيف مباشرة ، حتى بدا وكأنه لم يسمع تساؤل (أكرم) ، الذى كرَّر فى عصبية :

- (نور) .

لم يلتفت إليه (نور) ، فى هذه المرة أيضًا ، وإنما أشار بيده إلى الطيف ، وهو يقول ، فى صرامة عصبية :

- ولو أنك رأيت ما أراه ، لتوقَّفت عن استنكارك تمامًا .

التفت الجميع إلى حيث يشير مرة أخرى ، ثم تراجعوا هذه المرة فى حدة ..

ففى بطء عجيب ، ومشهد مهيب رهيب ، كان ذلك الطيف يعتدل ، وينهض من مكانه فى هدوء ، ثم يعتدل واقفًا ..

كل شىء فيه كان قد فقد ألوانه وسماته ، وتحوَّل كله إلى طيف رمادى اللون ، لولا الضوء المباشر ، لما أمكن تمييزه من الجدران الزجاجية ..

وفى هدوء عجيب مخيف ، وقف القاتل يتطلَّع إليهم جميعًا ، بعينين بدتا ككرتين من زجاج .. وعلى الرغم من شفافيته الشديدة ، كان (أكرم) يميِّز ملامحه جيِّدًا ..

وكان الكل يحدقون فيه بصمت ذاهل ، وكأنما ينظرون إلى معجزة رهيبة ، أو ظاهرة تفوق إدراك البشر ..

وفى دهشة مذعورة ، رفع القاتل يديه إلى وجهه ، وحدَّق عبرهما ، قبل أن يخفضهما ، ويبدو لحظات كالمصعوق ، حتى إن شفتى العقيد (سليمان) قد انفرجتا ، على نحو يوحى بأنه يهمّ بقول شىء ما ..

ولكن عينا القاتل تألقتا بغتة ، وانفرجت شفتاه عن تلك الابتسامة المخيفة ..

وانتفضت أجساد الكل بلا استثناء ..

وفى بطء ، استدار القاتل ، ينظر إلى الأغلال الفولاذية الملقاة أرضًا ، قبل أن تتألَّق عيناه مرة أخرى ، ثم يطلق ضحكة عالية ..

ضحكة رهيبة مخيفة ..

ضحكة بدت أشبه بصرخات شياطين ساخرة ..

وقاتلة ..

* * *

من المؤكَّد أن الوجوم ، الذى سيطر على قاعة التجارب الرئيسية ، كان له ما يبرِّره ، والكل يحدقون فى ذلك القاتل ، الذى بدا أشبه بشيطان حقيقى ، وهو يجوِّل كالطيف ، فى الحجرة الزجاجية ..

وعلى الرغم من أن أحدهم لم ينبس ببنت شفة ، إلا أن فكرة واحدة دارت فى رءوسهم جميعًا ..

تُرى ما الذى يفعله هذا القاتل بالضبط ؟!

لماذا يفحص كل ما بداخل الحجرة ، فى اهتمام بالغ ، بعد أن تَحوَّل إلى طيف مخيف ؟!

« إنه يحاول أن يفهم ما أصابه .. »

غمغم (أكرم) بالعبارة فى عصبية ، فالتفت إليه الكل فى اهتمام ، وتمتم (نور) ، وهو يتابع حركة الطيف فى حذر :

ـ هذا ما يبدو بالفعل .

هزَّ الدكتور (صبرى) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل ! كل الاختبارات التى قمنا بها ، قبل بدء التجربة ، تؤكِّد أن درجة ذكائه محدودة ، لا تسمح له باستيعاب الموقف .

أشار (نور) إلى الطيف ، قائلاً فى حزم :

ـ وماذا عن درجة ذكائه الآن ؟!

سأله الدكتور (عبد الحكيم) فى خوف :

ـ ماذا تعنى ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ راقبه جيِّدًا ، وستدرك ماذا أعنى .

عاد الكل يلتفتون إلى ذلك الطيف ، ويراقبونه ، بإمعان أكثر ، يمتزج بخوف وقلق واضحين ..

كان قد انحنى ، يفحص القيود الفولاذية ، التى كانت تحيط بمعصميه وكاحليه ، والتى ألقيت على الأرض ، دون أن تُحلّ أقفالها ، ثم تطلَّع مرة أخرى إلى معصميه ، ومدّ يده فى حذر ، فى محاولة للمس القيود ..

ومال الكل فى لهفة واهتمام شديدين ، لمتابعة ماسيحدث ..

ثم انطلقت من حلق الدكتور (أيمن) شهقة قوية ، وهو يهتف :

ـ رباه ! مستحيل !

فما رأوه جميعًا بأعينهم ، كان أمرًا مبهرًا بكل المقاييس ..

لقد حاول القاتل أن يلمس القيود الفولاذية ، أو يمسكها بأصابعه ، إلا أن سبَّابته غاصت فيها فى نعومة ، وكأنها صورة هولوجرامية غير حقيقية ..

وبحركة حادة ، جذب القاتل يده بعيدًا ، فى حين قال الدكتور (عبد الحكيم) فى انفعال :

ـ رباه ! رباه ! لقد فقدت خلاياه تماسكها ، مع الطاقة الكهربية الهائلة ، التى رافقت التجربة ، دون حسابات مسبقة .

استدار إليه القاتل بحركة حادة ، عندما قال عبارته هذه ، فارتدّ الرجل فى ذعر ، ولوَّح بذراعه ، وكأنما يتقى تلك النظرة المخيفة ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ إنه يفهمك .

هتف الدكتور (صبرى) بدوره :

ـ مستحيل !

ابتسم القاتل ، وبرزت أسنانه الحادة على نحو مخيف ، على الرغم من شفافية جسده ، وكأنما يُعلن سخريته مما قاله الدكتور (صبرى) ، الذى كرَّر فى خوف :

ـ كلاً .. مستحيل ! مستحيل أن يفهم هذا .

تجاهله القاتل تمامًا هذه المرة ، وهو يدير عينيه مرة أخرى إلى القيود المعدنية ، ثم يركز انتباهه عليها لبعض الوقت ، قبل أن يمدّ يده إليها ..

وفى هذه المرة ، خفقت قلوبهم فى عنف ..

فعلى الرغم من أنه قد قام بالأداء نفسه ، الذى قام به فى المرة السابقة ، إلا أن أصابعه لم تخترق القيود هذه المرة ..

لقد أمسكت بها فى إحكام ، ثم رفعتها إلى وجهه فى خفة ..

ولثوان ، حدَّق القاتل فى الأغلال المعدنية ، التى أمسك بها جيدًا ، فغمغم (أكرم) خلالها فى عصبية :

ـ ماذا عن عدم تماسك الخلايا ؟!

هزَّ الملازم (وائل) رأسه ، وهو يقول فى حيرة :

ـ لست أفهم شيئًا .

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت من حلق القاتل بغتة ضحكة شيطانية عالية ، ارتجفت لها قلوب الكل ، قبل أن

ينهض طيفه فى بطء ، ويستدير نحوهم ، ثم يتطلّع إليهم بابتسامة مخيفة ، وعينين يشع منهما بريق رهيب ..

ثم فجأة ، اتجه نحو جدار الحجرة الزجاجى ..

وبحركة غريزية ، وثب (أكرم) إلى الخلف ، وتحرّكت يده لتلتقط مسدسه من غمده ، ولكن أصابعه أدركت فجأة أنه لا يحمل مسدسه ، الذى احتفظ به طاقم أمن المكان ، فهتف فى حنق :

ـ يا للسخافة !

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، كان الطيف قد اقترب من الجدار الزجاجى ، ومدَّ يده يتحسَّسه فى حذر ، فتمتم الدكتور (عبد الحكيم) :

ـ تُرى هل من الممكن أن ...

قبل أن يكتمل تساؤله المرتجف ، دفع الطيف ذراعيه بغتة إلى الأمام ..

وسرت ارتجافه باردة كالثلج ، فى أجساد الجميع ..

لقد اخترق ذراعاه الجدار الزجاجى السميك ، المضاد للرصاصات ، فى نعومة مذهلة ، وكأن لا وجود له ..

وتراجع الكل هذه المرة ..

الكل بلا استثناء ..

وبحركة سريعة ، التقط المقدَّم (إبراهيم) مسدسه ، وصوَّبه نحو الطيف ، فى حين رفع العقيد (سليمان) جهاز الاتصال إلى شفتيه ، وهتف فى توتر بالغ :

ـ الأمن .. نريد تعزيزات هنا بسرعة .. هل تسمعنى .. أنا العقيد (سليمان حازم) .

واصل الطيف طريقه إلى الأمام ، بنفس الابتسامة المخيفة ، والنظرة الوحشية الظافرة ، فغمغم (أكرم) :

ـ يا إلهى !

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين تراجع الباقون ، فيما عدا المقدَّم (إبراهيم) ، الذى صاح فى صرامة ، لا تخلو من العصبية :

ـ إياك أن تتقدَّم ، وإلا ..

تجاهله الطيف تمامًا ، وواصل تقدّمه بلا مبالاة ، وراح جسده يتجاوز الجدار الزجاجى بنفس النعومة المخيفة ،

فى حين انبعث من جهاز الاتصال صوت رئيس أمن المكان ، وهو يقول فى توتر :

ـ معذرة ياسيادة العقيد ، ولكن هناك خلل فى نظام الأمن الإليكترونى ، وطوابق المبنى ستظل موصدة ومعزولة ، طوال الساعات الخمس القادمة .

وقعت قلوب الجميع بين أقدامهم ، عند سماعهم ما قاله رئيس الأمن ، وصاح الدكتور (صبرى) فى ارتياع ، وهو يلتصق بالجدار ، من شدة الرعب :

ـ لا .. لايمكن أن يحدث هذا .. لايمكن أن نبقى معه هنا .

انتزع الدكتور (أيمن) نفسه من مكانه ، وانطلق يعدو خارج قاعة التجارب ، عبر الممر القصير للطابق ، حتى بلغ نهايته ، المغلقة بجدار الأمن الصلب ، فراح يضربه بقبضته فى ارتياع ، صارخًا :

ـ افتحوا الأبواب .. أزيلوا الحواجز .. لا تتركونا هنا معه .. أرجوكم .

ثم انهار إلى جوار الباب ، وهو يكررً :

ـ أرجوكم .

وفى داخل الحجرة ، تراجع المقدَم (إبراهيم) ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الطيف ، الذى تجاوز جدران الحجرة الزجاجية تمامًا ، وصاح فى عصبية :

ـ قف .. خطوة أخرى وأطلق النار .

أدار الطيف عينيه المخيفتين إليه ، ثم أطلق ضحكته المخيفة ، قبل أن يتجه نحوه مباشرة ، فهتف (نور) :

ـ ابتعد .. ابتعد يا رجل باللّه عليك .

ضاع هتافه ، مع دوى رصاصات مسدس المقدَم (إبراهيم) ، الذى تراجع أكثر وأكثر ، ورصاصاته كلها تمرّ عبر الطيف ، وكأنما لا وجود له ، ثم ترتطم بالجدران الزجاجية ، وترتدّ عنها ارتدادًا عشوائيًا عنيفًا ، حتى إن إحداها اخترقت ذراع الدكتور (صبرى) مع ارتدادها ، فسقط أرضًا ، وهو يمسك ذراعه فى ألم مذعور ، ويطلق صرخات رعب عالية ..

والتصق المقدَم (إبراهيم) بالجدار ، بعد أن يئس من إطلاق رصاصاته ، وراح يصرخ بالطيف :

ـ ماذا تريد منى أيها الوغد ؟! ماذا تريد ؟!

تقدَّم القاتل نحوه أكثر ، حتى صار على مسافة نصف المتر منه ، فصاح (نور) مرة أخرى ، وهو يندفع نحوه :

ـ ابتعد .

قالها ، ووثب نحو الطيف ، ولكنه اخترقه ، وكأنما لم يعترض طريقه شىء ، وإن شعر ، عندما امتزج كياناهما ، بقشعريرة باردة مثلجة تسرى فى جسده قبل أن يسقط أرضًا ، وهو يشعر بألم عجيب ، فى كل عضلة من عضلاته ..

واتسعت عينا (أكرم) ، وهو يتحسَّس موضع مسدسه مرة أخرى ، هاتفًا فى عصبية :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث هنا ؟

بينما ينطق هتافه هذا ، تطلَّع الطيف بعينيه المتألقتين الرهيبتين ، إلى عينى المقدَّم (إبراهيم) مباشرة ، ثم كشَّر عن أسنانه الحادة المخيفة ، قبل أن ترتفع يده بغتة ، وتغوص فى صدر الرجل ..

وانتفض جسد المقدَّم (إبراهيم) كله بمنتهى العنف ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ألم وذعر لا حدود لهما ، فارتجف جسد الدكتور (عبد الحكيم) وصوته ، وهو يهتف :

ـ إنه .. إنه يقتله .

لم يطق (أكرم) الوقوف ساكنًا ، أمام هذا المشهد الرهيب ، فاندفع نحو الطيف ، وهو يصرخ :

ـ أعلم أن (نور) قد اخترقك ، ولكن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، وثب بكل قوته نحو الطيف ، الذى استدار إليه بحركة حادة ، وزمجر على نحو وحشى ، وهو ينتزع يده من صدر المقدَّم (إبراهيم) فى سرعة ..

والعجيب أن (أكرم) قد ارتطم بذلك الطيف ، ولم يخترقه ..

ارتطم بشىء لين ، أشبه بلفة من القطن ، أو بجدار من الأسفنج الصناعى ، ودفعه أمامه قليلاً ..

ثم فجأة ، وجد نفسه يعبره ، وشعر بآلام رهيبة تنتشر فى كل جسده ، قبل أن يسقط أرضًا ..

وإلى جواره ، سقط جسدان ..

جسد المقدّم (إبراهيم) ، المتسع العينين ، فى ألم وارتياع ، والذى فقدت نظراته بريق الحياة ..

وذلك الطيف الرهيب ..

صدمة (أكرم) انتزعته من مكانه ، وأسقطته أرضًا ، قبل أن يهبّ من سقطته فجأة ، ويثب واقفًا على قدميه ، ثم يُطلق زمجرة أخرى غاضبة ..

وغمغم العقيد (سليمان) ، بكل رعب الدنيا :

- إنه سيـ .. سيقتلنا جميعًا .

استدار إليه الطيف القاتل بنظرة مخيفة ، ثم ابتسم تلك الابتسامة الرهيبة ، قبل أن يتجه نحو الجدار ، ويقف أمامه لحظة فى صمت ، ويعود بعدها إلى الالتفات إليهم ، وتتألق عيناه بنظرة ساخرة وحشية ..

ثم ، وبمنتهى الثقة ، غاص بجسده الطيفى فى جدار القاعة ، حتى اختفى ..

اختفى تمامًا ، تاركًا خلفه رائحة الموت والرعب .. بلا حدود .

★ ★ ★

٣- القاتل ..

« لقد توقّف قلبه ، من شدة الرعب .. » .

نطق الدكتور (عبد الحكيم) العبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يفحص جثة المقدّم (إبراهيم) ، قبل أن يرفع عينيه إلى الموجودين ، متابعًا بصوت مرتجف :

- أو أن شيئًا ما قد اعتصر قلبه حتى الموت.

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- شىء ما ، أم طيف ما .

قال الملازم (وائل) ، وهو يشير إلى صدر (إبراهيم) :

- انظروا .. الأنسجة شبه متهتكة ، عند موضع الصدر .. نفس الموضع الذى غاص فيه ذراع ذلك الطيف القاتل .

هتف الدكتور (عبد الحكيم) فى خوف ملحوظ :

- ولكن كيف ؟! كيف يمكنه أن يخترق جدارًا من الصلب ، بكل النعومة التى رأيناها ، ثم يعتصر قلبًا بمنتهى القوة ، فى الوقت ذاته .

أجابة (نور) فى حزم :

- إنه يمتلك القدرة على تغيير درجـة تماسك خلايـاه .. لقد اختبر هذا بنفسه ، عنـدما أمسك أغـلاله المعدنية ، التى عبرت جسده فى المرة الأولى .

هزَّ العقيد (سليمان) رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- ولكن هذا مستحيل ! كل الاختبـارات تؤكِّد أن درجـة ذكائه أقل من المستوى .

قال (نور) :

- كان هذا قبل أن يحدث تغيير شامل فى تكوينه .

امتقع وجه الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يقول :

- هل تعتقد هذا ؟!

أجاب (نور) فى حسم :

- لا يوجد تفسير آخر .. لقد رأينـا جميعًا بأعيننـا ذلك القاتل ، وهو يدرس موقفـه ، بعدما أصابه ، ورأينا كيـف استوعب أمرًا أذهلنا جميعًـا ، خـلال دقـائق معدودة .. بل وكيف اختبر قـدراته الجـديدة ، وكيفية تحكمه فيها ، وكل

هذا لا يمكن أن ينبع عن شخص محدود الذكاء أو التفكير .. إنه على العكس ، يشفّ عن عقل عبقرى ، وقدرة مدهشة على التكيف والاستيعاب ..

أكمل الملازم (وائل) :

- أضف إلى هذا روحًا تحمل كل شرور الدنيا .

صاح الدكتور (أيمن) ، وهو مازال فى حالة انهيار :

- سيعود .. سيعود ليقتلنا جميعًا .

ارتجف جسد الدكتور (صبرى) فى عنف ، وهو يقول :

- هذا ما أخشاه .

وهنا أجابه (أكرم) فى صرامة متوترة :

- أنا على عكسكم .. أخشى ألا يعود .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن يعلّـق ، وكأنمـا فهم عبـارة (أكـرم) ، واستوعب مغزاها جيِّدًا ، فى حيـن بـدا صـوت الدكـتـور (عبـد الحكيـم) شـديد التوتـر ، وهـو يسأله :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أن ذلك الحقير كان بإمكانه قتلنا جميعًا بالفعل ، ولكنه لم يفعل ، وإنما اخترق جدار القاعة ، ليخرج من هنا إلى العالم الخارجى .. إلى حيث سيجد دولة بأكملها ، بها مئات من رجال الشرطة ، الذين يعشق قتلهم ، والذين سيصبحون فريسة سهلة ، مع قدراته المدهشة الجديدة .

التقى حاجبا العقيد (سليمان) ، وهو يهتف بانفعال شديد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

واختطف جهاز الاتصال من حزامه ، وضغط زره ، وهو يصرخ عبره :

ـ من القيادة إلى جميع الوحدات .. أطلقوا إشارة الإنذار الكبرى .. هناك قاتل طليق .. قاتل فى حالة غير آدمية .

وقبل أن يتلقى جوابًا ، جذب حلية حزامه ، وأدارها حول نفسها ، ثم انتزعها من مكانها ، وقلبها على وجهها الداخلى ، فهتف الدكتور (صبرى) فى دهشة ، وهو يحدّق فى الأزرار المضيئة فيها :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هتف العقيد (سليمان) ، وهو يضغط الأزرار فى سرعة ، بتتابع مدروس :

ـ وسيلة دفاع وقائية أخيرة ، وسرية للغاية ، ولاينبغى أن يتمّ استخدامها ، إلا فى حالات الطوارئ القصوى .

مع آخر ضغطة زر ، دوت حولهم فرقعة مكتومة ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! ما هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ غلاف من الطاقة الكهرومغنطيسية .

هتف العقيد (سليمان) :

ـ بالضبط .. هكذا أصبحنا معزولين تمامًا بالفعل .. لاشىء يمكنه الدخول أو الخروج ، حتى الموجات الصوتية .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا فى حزم عصبى :

ـ لن نمنح ذلك القاتل فرصة الخروج من هنا ، والسيطرة على أمن الوطن ..

لن نسمح له أبدًا .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى انطلقت فى المكان كله صرخة عالية مدوية ..

صرخة غاضبة ثائرة ، بدت وكأنها تتردَّد عبر كل جدران المبنى ..

ولم يكن الجميع بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، ليدركوا ماهيتها ..

لقد منع غلاف الطاقة ذلك الطيف من مغادرة المكان بالفعل ..

ومن الواضح أن هذا قد أغضبه ، وأثار ثائرته ..

وإلى أقصى حد ..

وهذا يعنى أن الساعات القادمة ستحمل الكثير ..

الكثير جدًا ..

* * *

زفر خبير الأمن فى توتر شديد ، ورفع أصابعه عن أزرار الكمبيوتر ، فى محاولة لتهدئة أعصابه الثائرة ، ثم لم يلبث أن عاود العمل ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. قاتل طليق ، وطوارئ قصوى ، وانعزال تام عن الدنيا .. أيوجد ما هو أسوأ من هذا ؟!

أجابه رئيس الأمن فى صرامة :

ـ بالتأكيد .. يوجد ما هو أسوأ بكثير ، ويمكننى أن أذيقك إياه ، لو واصلت الولولة هكذا كالنساء .

صاح خبير الأمن فى حدة ، وهو يواصل عمله :

ـ أهذا كل ما أمكنك قوله ؟! أهذه هى كلمات التشجيع الوحيدة التى تجيدها ؟!

صاح به رئيس الأمن فى غضب :

ـ إنه عملك .

مطَّ خبير الأمن شفتيه ، متمتمًا :

ـ يا للسخافة ! نحن نبذل قصارى جهدنا ؛ لإعادة كل نظم الأمن إلى ما كانت عليه ، ولا ينوبنا منهم إلا ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى الجدار الخشبى ، خلف أجهزة الكمبيوتر تمامًا ، ثم لم يلبث أن هبَّ من مقعده ، وصرخ فى رعب :

ـ أى شيطان هذا ؟!

شهق مساعده فى رعب ، وارتجف جسده من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يحدّق فى ذلك الطيف الرهيب ، الذى اخترق الجدار ، وعبر أجهزة الكمبيوتر ، وشاشاتها المسطحة الكبيرة ، وهو يتجه نحوهم ..

وبكل الرعب ، انتزع رئيس الأمن مسدسه من غمده ، وصوّبه إلى ذلك الطيف ، وهو يصرخ :

ـ ما هذا ؟! يا إلهى ! ما هذا ؟!

واصل الطيف طريقه ، فى هدوء عجيب ، وتألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يبتسم ابتسامة دموية ، واتجه نحو مساعد خبير الأمن ، الذى راح يطلق صرخات رعب هائلة ، وقد تجمّدت ساقاه ، وأعجزتاه عن مفارقة مقعده ، على الرغم من كل ما يشعر به من ذعر ..

وأمام عيون خبير الأمن ورئيسه ، اخترق الطيف جسد المساعد ، فى بطء شديد ، صرخ المسكين معه صرخة تحمل آلامًا رهيبة ، واتسعت عيناه ، حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وراحت أطرافه ترتجف فى عنف ، قبل أن ينهار جسده دفعة واحدة ..

وهنا .. هنا فقط ، وبهدوء مستفز ، تجاوزه ذلك الطيف ، وتركه يسقط جثة هامدة ، وهو يتجه نحو رئيس الأمن ، الذى صرخ :

ـ لا .. لا تقترب .

قالها ، وهو يضغط زناد مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته بكل طاقتها ، نحو ذلك الطيف مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ولكن ذلك الطيف لم يبال ..

وبنفس الهدوء الواثق المخيف ، واصل طريقه نحو رئيس الأمن ، الذى التصق بالجدار ، وترك مسدسه الليزرى يسقط أرضًا ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا تقترب ..

وفى هدوء ، وقف الطيف على مسافة نصف المتر من رئيس الأمن ، وتطلّع إليه لحظة بنظرته الوحشية المخيفة ..

ثم فجأة ، رفع يده ، واخترق بها رأس الرجل ..

وبمنتهى القوة ، انتفض جسد رئيس الأمن ، وانطلقت من حلقه صرخة رعب وألم هائلة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، وتدفَّقت الدماء من أنفه وفمه فى غزارة رهيبة ..

واستدار الطيف إلى خبير الأمن ، الذى صرخ فى انهيار :

ـ لا .. أرجوك .. لا ..

انعقد حاجبا الطيف فى شدة ، وهو يشير إلى الكمبيوتر ، إشارة صارمة آمرة ، فانتفض جسد الخبير ، وهو يقول :

ـ هل .. هل تريد منى أن أفعل شيئًا من أجلك ؟!

تألَّقت عينا الطيف ، على نحو يوحى بالإيجاب ، فهتف الرجل :

ـ سأفعل أى شىء تطلبه .. كل شىء هنا يمكن التحكُّم فيه ، من خلال هذا الكمبيوتر المركزى .. كل شىء ..

ثم تردَّد لحظة ، قبل أن يضيف فى حذر مرتجف :

ـ كل شىء ، باستثناء غلاف العزل الكهرومغنطيسى .. العقيد (سليمان) وحده يمكنه التحكُّم فيه .

اشتعلت عينا الطيف بغضب رهيب ، وزمجر فى ثورة ، كشفت عن أسنانه الحادة الشبيهة بأسنان سمكة قرش

مفترسة ، قبل أن تنطلق منه صرخة وحشية أخرى ، ثم ينقضَّ على خبير الأمن ..

ومن حجرة التحكُّم الأساسية ، انطلقت صرخة رعب وألم هائلة أخرى ..

صرخة تحمل رائحة الألم ..

والعذاب ..

والموت ..

* * *

« لا أحد يجيب .. » .

نطق العقيد (سليمان) العبارة فى توتر ، وهو يعاود محاولة الاتصال بطاقم الأمن للمرة الخامسة ، قبل أن يرفع رأسه إلى الموجودين ، مكملاً :

ـ أخشى أن ...

لم يتمَّ عبارته ، ولكن الكل فهم ما يرمى إليه ..

وانتفضت قلوبهم فى عنف ..

فلو أن القاتل قد قضى على طاقم الأمن ، فهذا يعنى أن المشكلة صارت أعقد بكثير ، وخاصة مع عزل طوابق المبنى

بعضها عن البعض ، وعزلـه كلـه عن العالم الخـارجى ، بسبب غلاف الطاقة الكهرومغنطيسية ؛ إذ إن احتمـالات إصلاح خلل نظام الأمن الإليكترونى سوف تنخفض إلى حد مخيف ..

إلى ما يقرب من الصفر ..

وهذا يعنى أيضـًا أن القـاتل سيغضب إلـى أقصى حد ، وسيتحوَّل بغضبـه هذا إلـى وحش كاسر ، يمتلـك قـدرات خارقة ، تتيح له القضاء على كل رجل وامرأة داخل المبنى كله ..

وبلا استثناء ..

وبكل الرعب ، لوَّح الدكتور (أيمن) بذراعيه ، هاتفًا :

ـ أطلقوا سراحه .. اتركوه يمضى بعيدًا ، قبل أن يفتـك بنا جميعًا .

هتف العقيد (سليمان) فى حزم :

ـ مستحيل !

صرخ الدكتور (أيمن) فى انهيار :

ـ لماذا مستحيل ؟! هل ترغب فى القضاء علينا ، حتـى يضعك التاريخ فى قائمة الأبطال؟! هل ستضحى بنا جميعًا ، لتنال وسام شجاعة من الطبقة الأولى ؟!

صاح به العقيد (سليمان) :

ـ تماسك يا رجـل .. انفض عنـك هذا الرعب الهـائل ، وواجه الموقف كرجل حقيقى .. إننا هنا فى بوتقة واحدة ، ولست أضحى بأحد ، وإنما بنفسى فى البدايـة ، ولكن من المستحيل أن أسمح لذلك الوحش بالخروج من هنا ، ليريق أنهارًا من الدم فى الخارج .

صرخ الدكتور (أيمن) :

ـ هل ستتركه يريق أنهار الدم هنا ؟!

شدَّ العقيد (سليمان) قامته ، وهو يقول فى صلابة :

نحن عسـكريون ، ومهمتنـا هى حمايـة الوطـن من أى خطر ، مهما كانت ماهيته .

صرخ الدكتور (أيمن) فى انهيار تام :

ـ ولكننى لست عسكريًا ، ولا أريد أن أموت .

وسقط منهارًا على ركبتيه ، وهو يهتف ، والدموع تغمر وجهه :

ـ لا أريد أن أموت .. ليس هكذا .

صاح به (أكرم) فى ازدراء :

ـ وكيف تريد أن تموت إذن .

صرخ الرجل :

ـ لا أريد أن أموت هنا .. لقد عزلتمونا عن العالم الخارجى .. لم تتركوا لنا سبيلاً واحدًا للاستغاثة ، أو لإبلاغ الآخرين بما نواجهه هنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس تمامًا .

التفت إليه العقيد (سليمان) والدكتور (عبد الحكيم) فى دهشة ، وقال الأول فى توتر شديد :

ـ ولكن هذا هو الواقع للأسف أيها المقدّم (نور) .. الحواجز الآلية ، ونظام الأمن التالف ، وغلاف الطاقة ، كلها عزلتنا عن العالم الخارجى تمامًا .. ربما يمكننا تبادل

الاتصالات فى الداخل ، ولكن لا توجد وسيلة واحدة للاتصال بالخارج .

سأله (نور) :

ـ وماذا عن أجهزة الهاتف العادية ؟!

مطَّ الرجل شفتيه فى أسف ، وقال :

ـ فى الماضى كانت الأوامر تقتضى عدم استخدامها ، فى مثل هذه الظروف ، نظرًا لضعف نظم السيطرة عليها ، ووجود احتمالات للتنصُّت والتجسُّس ، فى الظروف الحرجة ، ولأن التوتر كان يؤدى أحيانا إلى بعض التجاوزات ، قام المسئولون بربط أجهزة الهاتف العادية بوحدة طاقة خاصة ، بحيث يتم عزلها آليًا ، فى حالات الطوارئ القصوى ، التى تحتم السرية المطلقة .

غمغم (أكرم) فى مقت :

ـ لهذا أمقت دومًا نظم السيطرة الإليكترونية الكاملة هذه .

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى بطء :

- مازالت هناك وسيلة .

هتف به الدكتور (أيمن) فى لهفة :

- هل لديك ما تخفيه أيها المقدّم ؟!

تردّد (نور) لحظة ، وانفرجت شفتاه ، وتعلّقت بهما أنظار الجميع ، و ...

وفجأة ، خرج ذلك الطيف من الجدار ..

عبره فجأة ، دون أدنى صوت ، ووقف على مسافة متر واحد منه ، يحدّق فى الكل بنظرة غاضبة مخيفة ..

وبكل رعب الدنيا ، انهار الدكتور (أيمن) صارخًا :

- لا .. لا .. عد من حيث أتيت .. عد ..

أما الباقون ، فقد تراجعوا بحركة حادة ، وغمغم (أكرم) فى عصبية :

- لقد عاد الوغد .

أدار القاتل الطيفى عينيه إليه فى حدة ، ورمقه بنظرة وحشية متوعّدة ، ثم لم يلبث أن استدار إلى العقيد

(سليمان) ، ثم اتجه نحوه مباشرة ، فأسرع الرجل ينتزع مسدسه ، ويلوّح به نحوه ، هاتفًا :

- ماذا تريد منى ؟!

واصل الطيف اقترابه منه ، فصرخ مرة أخرى :

- ماذا تريد منى ؟!

وثب (نور) ، فى هذه اللحظة ، والتقط مسدس المقدّم (إبراهيم) ، الملقى أرضًا ، وأدار فوهته نحو الطيف ، صائحًا فى صرامة :

- إياك أن تحاول .

استدار إليه الطيف بابتسامة وحشية ساخرة ، و (أكرم) يقول فى عصبية :

- ماذا تفعل يا (نور) ؟! أنت تعلم أن هذا لن يؤذيه .

هتف (نور) :

- خطأ يا صديقى .. خطأ .. لقد هاجمته أنا ، فى المرة السابقة ، فعبرت جسده ، وكأنه مجرّد صورة هولوجرافية ، أما أنت ، فعندما هاجمته ، وهو يعتصر قلب المقدّم (إبراهيم) المسكين ، شعرت وأنك ترتطم بجسم لين ..

هتف الدكتور (عبد الحكيم) فى انفعال :

ـ رباه ! هل تعنى ..

قاطعه (نور) ، وهو يصوِّب مسدسه نحو الطيف فى صرامة :

ـ نعم .. هذا ما أعنيه بالضبط يا رجل .. فلكى يتمكَّن هذا الوغد من القتل ، لابد له وأن يتحوَّل إلى حالة أقل من تفكك الخلايا ، وفى تلك اللحظة يمكن لرصاصات هذا المسدس أن تنسف رأسه ، أو على الأقل تحوله إلى عجينة مهروسة ..

انعقد حاجبا الطيف ، وزمجر فى وحشية ، فتابع (نور) بنفس الصرامة :

ـ أنت تعلم أننى على حق أيها الوغد .. أليس كذلك ؟!

ظلَّ الطيف يتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن أدار عينيه فى وجوه الجميع ، فصرخ الدكتور (أيمن) ، وهو يلوِّح بذارعيه فى رعب :

ـ لا .. ليس أنا .. ليس أنا .

توقَّفت عينا الطيف المخيفتين عند الدكتور (صبرى) ، ثم لم يلبث أن اتجه نحوه مباشرة ، فتراجع المسكين فى هلع ، حتى التصق بالجدار ، وهو يصرخ :

ـ ابتعد .. ابتعد .

وتوتر (أكرم) بشدة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! لابد أن نفعل شيئًا .. لابد .

صاح (نور) فى الطيف ، وهو يلوِّح نحوه بمسدسه :

ـ لقد حذرتك .

أطلق الطيف ضحكة ساخرة مخيفة ، وهو يواصل سيره نحو الدكتور (صبرى) ، الذى صرخ فى وجهه مكررًا :

ـ ابتعد عنى .

ولكن الطيف اندفع نحوه بغتة ، و ...

وغاص بجسده كله فيه ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، عندما فهم ما يسعى إليه الطيف ، وشعر عندئذ بحالة من العجز ، لم يشعر بمثلها فى حياته كلها ..



كان الدكتور (صبرى) يصرخ بآلام رهيبة ، ويضرب بذراعيه فى الهواء ، فى ذعر وألم ، وذلك الطيف بداخله ..

لقد فعلها ذلك الطيف مرة أخرى ..

فعلها بذكاء حقيقى ، عندما مزج جسده بجسد ضحيته ، بحيث يعجز (نور) عن قتله ، دون قتل الضحية نفسها ..

وبلهفة غير عادية ، صرخ (أكرم) :

- أطلق النار .. أطلق النار يا (نور) .

كان الدكتور (صبرى) يصرخ بآلام رهيبة ، ويضرب بذراعيه فى الهواء ، فى ذعر وألم ، وذلك الطيف بداخله ، يطلق ضحكات ظافرة وحشية ..

وامتزجت الأصوات كلها ، كما امتزج الجسدان ..

ثم أطلق الدكتور (صبرى) صرخة أكثر عنفًا ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ألم ورعب بلاحدود ، فقفز (أكرم) ، يختطف المسدس من يد (نور) ، وهو يصرخ مكررًا :

- أطلق النار .

وبكل غضبه هو وثورته ، صوّب المسدس نحو الجسدين الممتزجين ..

ثم أطلق النار ..

أفرغ كل رصاصه ، فى جسد الدكتور (صبرى) ، الذى كان يسقط بالفعل جثة هامدة ، قبل حتى أن تنطلق الرصاصة الأولى ، وامتزج دوى رصاصاته بضحكات الطيف الساخرة ، قبل أن يبدو واضحًا ، وهو يقف مستهزئًا ، بعد سقوط الدكتور (صبرى) ، فصاح (أكرم) فى مرارة :

ـ كان ينبغى أن تطلق النار منذ اللحظة الأولى يا (نور) .

خفض (نور) عينيه ، وهو يقول :

ـ كنت سأقتل الدكتور (صبرى) عندئذ .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ الرجل كان سيلقى مصرعه فى أية حالة ، ولكننا كنا سنظفر بذلك الوغد .

زفر (نور) فى مرارة ، ورفع إليه عينين محمرتين ، توشكان على البكاء ، وهو يقول بكل حزن وأسى الدنيا :

ـ فى بعض الأحيان يبدو لى أن الدنيا تحتاج إلى من هم على شاكلتك يا صديقى .

رمقهما الطيف بنظرة شامتة ساخرة ، ثم عاد يتجه نحو العقيد (سليمان) الذى هتف فى عصبية :

ـ هيا .. اقتلنى أنا أيضًا .. هيا .. تمتع بإراقة الدماء أيها الوحش .

انعقد حاجبا الطيف ، على نحو ضاعف من مظهره المخيف ، وهو يمد يده فى غضب إلى العقيد (سليمان) ، ثم يشير بيده الأخرى إلى الخارج ، فتطلَّع الرجل إليه بضع لحظات فى دهشة عصبية ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ تريد منى أن أغلق غلاف الطاقة ، حتى يمكنك الخروج من هنا .

تألَّقت عينا الطيف ، وبرقتا بظفر واضح ، فلوَّح العقيد (سليمان) بذراعيه ، قائلاً فى عصبية شديدة :

ـ ولكننى لا أمتلك وسيلة لهذا .

صاح الدكتور (أيمن) وهو يرتجف فى عنف :

ـ فى حزامه .. جهاز التحكُّم فى غلاف الطاقة فى حلية حزامه .

اندفع (أكرم) نحوه ، وركله فى وجهه بعنف ، صائحًا فى غضب :

- أيها القذر .

صرخ الدكتور (أيمن) من الألم ، وسقط على ظهره ، ثم رفع ذراعيه ليحمى وجهه من ركلة أخرى ، وهو يصرخ فى رعب هائل :

- إنه سيقتلنا جميعًا .. سيقتلنا لو بقى هنا .

زمجر الطيف فى وحشية ، ومدّ يده مرة أخرى إلى العقيد (سليمان) ، الذى انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حدة :

- فليكن .. جهاز التحكُم فى حلية حزامى بالفعل .

قالها ، وهو ينتزع حلية الحزام فى عصبية ، ثم أشار إلى الأزرار ، متابعًا :

- ولكن الأمر يحتاج إلى كود خاص .

زمجر الطيف مرة أخرى ، فاستطرد الرجل ، فى عصبية أكثر :

- فليكن .. سأفعلها .

صاح به (أكرم) :

- إياك .

وانعقد حاجبا (نور) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يتطلّع إلى العقيد (سليمان) ، الذى راح يضغط الأزرار فى سرعة ، والدكتور (عبد الحكيم) يغمغم :

- ياللخسارة !

ولكن فجأة ، ألقى العقيد (سليمان) حلية حزامه بعيدًا ، وهو يصرخ :

- اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

ومع منتصف صرخته ، دوى انفجار محدود مكتوم ..

انفجار نسف جهاز التحكُم تمامًا ..

واتسعت عينا الطيف فى غضب هادر ، ثم أطلق صرخة غاضبة عالية ..

ثم اندفع بكل غضبه وثورته ، يخترق جسد العقيد (سليمان) ..

ولكن (نور) اندفع كالبرق ، وثب يضرب جسد العقيد (سليمان) بكل قوتـه ، فانفصل الجسدان ، عندمـا سقط الرجل بعيدًا ..

وزمجر الطيف مرة أخرى فى غضـب ، فوثب (نـور) يختطف مسدس العقيد (سليمان) ، الذى سقط أرضًا ، وهو يصيح فى الجميع :

ـ لاتمنحوه الفرصة .. ناوروه دومًا ، ولا تثبتوا فى موقع واحد لحظة واحدة .. لا تسمحوا لـه بـاختراق أجسادكم والاستقرار فيها .. تحرَّكوا فى سرعة ..

اندفع الكل يتحركون عشوائيًا ، داخـل قاعة التجارب ، وقلوبهم تخفق فى عنف ، و (نور) يتابع :

ـ وليجرؤ على أن يتماسك ولو لحظة واحدة .. عندئذ سأزيحه من الوجود برصاصة واحدة .. وأقسم على هذا .

تابعهم الطيف ببصره بضع لحظات فى غضب ، ثم رفـع قبضتيه ، وأطلق صرخة غاضبة مخيفة ، قبل أن يندفع نحو الجدار ، ويختفى فيه تمامًا ..

ولثوان ، ظلّ الكل يتحرَّك داخل القاعة بنفس العصبية ، قبل أن يتوقَّف العقيد (سليمان) فجأة ، هاتفًا بـ (نور) :

ـ قلت : إنه هناك وسيلة اتصال أخرى .

انعقد حاجبا (نور) وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل فى وقفته ، وأدار عينيه فى وجوههم ، متابعًا فى حزم :

ـ عندما حضرنا ـ زميلى وأنا ـ إلى هنا ، لم يكن الهدف هو مراقبة تجربة علمية ، ذات بعد عسكرى فحسب ، وإنما كان نوعًا من التأمين الاحتياطى ، ضد أيـة احتمالات غير معروفة ، ولأننا قد واجهنا موقفًا مماثلاً ذات يوم ، انقطعت فيه اتصالاتنا بالعالم الخارجى ، ونحن نواجه خطرًا قاتلاً(*)، فقد قامت زوجتى (سلوى) ، وهى خبيرة اتصالات شهيرة ، بالتعاون مع ابنتى (نشوى) ، خبيرة الأمن والكمبيوتر ، المعتمدة لدى المؤسسة العسكرية ، بابتكار جهاز اتصال خاص جدًا ، يعتمد على موجات خاصة ، يمكنها اختراق أى درع دفاعى ، مهما بلغت قوته .

هتف العقيد (سليمان) :

(*) راجع قصة (وراء العقل) ، من سلسلة (ملف المستقبل) .. المغامرة رقم (١٢٩) .

- ماذا تنتظر إذن يا رجل ؟! هيا .. أبلغ العالم الخارجى ، ما نواجهه هنا ، واطلب منهم العون .

رفع (نور) ساعته إلى وجهه ، وهو يقول فى حزم :

- ليس هذا فحسب يا سيادة العقيد ، وإنما سأقوم أيضًا باستدعاء باقى الفريق .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضغط أزرار ساعته ، مضيفًا :

- وسنبدأ معًا مواجهة جديدة .

قالها ، وهو يبث اتصاله الأول ..

ويعلن بدء مهمة جديدة للفريق ..

مهمة بالغة الحساسية ..

والخطورة .

* * *

٤ - وجاء الفريق ..

أشار أحد رجال طاقم الحراسة الخارجى إلى سيارة النقل الخاصة ، التى تقف على مسافة أمتار قليلة ، من حجرة الكهرباء الرئيسية ، فى ساحة المبنى ، وقال فى حدة :

- ماذا تفعل هذه السيارة هنا حتى الآن ؟! إنها تحمل خزانًا خاصًا ، يمتلئ بالنيتروجين السائل ، ووجودها يعرِّض المكان كله للخطر ، فإما أن يتم نقلها ، بعيدًا عن مركز الكهرباء ، أو يتم تفريغ ما تحويه على الأقل .

أجابه زميله ، وهو يفحص مفاتيح الكهرباء الرئيسية ، ويراجع مؤشراتها ، للتأكُّد من أن كل شىء على ما يرام :

- لا يمكنهم نقلها الآن ، فلقد أصيب سائقها ، مع الخلل الذى أصاب دائرة الكهرباء الرئيسية ، ولابد من إجراء التحقيق اللازم أوَّلاً ؛ لمعرفة سبب وجوده هنا ، وهذا يحتم بقاء كل شىء على ما هو عليه .

سأله الأوَّل فى توتر :

- ماذا عن النيتروجين السائل فى الخزان ؟!

أجابه زميله ، وهو يراجع الوصلات للمرة الأخيرة :

ـ اطمئن .. الخزان من طراز خاص ، يمكنه الإبقاء على النيتروجين فى حالته السائلة ، لأكثر من عشر ساعات .

غمغم الأول فى سخط :

ـ يا للسخافات الروتينية !

ابتسم زميله ، قائلاً :

ـ هذا لا يحدث كل يوم يا رجل .

ثم تنهّد فى ارتياح ، وهو يتراجع ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .. كل شىء على ما يرام .. الأجزاء التالفة أمكن تعويضها ، وكل شىء الآن يعمل بكامل طاقته .

سأله الأول فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا سيحلّ مشكلة نظم الأمن الإليكترونى المرتبكة ، وسيرفع عنا الحصار ؟!

مطّ زميله شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. هذا يحتاج إلى خبير فى نظم الأمن ، أو إلى ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى نقطة ما ، خلف كتف زميله مباشرة ، فارتبك هذا الأخير ، وهو يلتفت ، قائلاً :

ـ ما الذى ؟

قبل أن يتمّ تساؤله ، شعر بعمود من ثلج يخترق جبهته ، وانطلقت فى أعمق أعماقه صرخة ألم رهيبة ، لم تتجاوز أبدًا شفتيه ، وهو يحدّق فى طيف مخيف ، وقف يتطلّع إليه بابتسامة وحشية ساخرة ، وهو يغوص بكفه فى رأسه ..

ثم فجأة ، أظلمت الدنيا أمام عينيه ، وهوى جثة هامدة ..

وبكل رعب الدنيا ، انتزع الحارس الثانى مسدسه ، وهو يتراجع أمام ذلك الطيف ، الذى اتجه نحوه مباشرة ، ويصرخ :

ـ لا .. لا .. ابتعد عنى .

وفى الساحة الخارجية للمبنى ، تردّد دوى ثلاث رصاصات متعاقبة ، أعقبه صرخة قوية ، تحمل رعبًا وألمًا بلا حدود ..

وبعدها ساد صمت تام ..

ورهيب ..

للغاية ..

* * *

« ما هذا بالضبط ؟! »

هتف قائد فرق أمن القوات المسلحة بالتساؤل ، فى توتر شديد ، عندما تناهت تلك الأصوات إلى مسامعه ، من داخل المنطقة العلمية العسكرية ، الذى حضر مع فرقة من رجاله ، منذ دقائق معدودة ، لمحاصرتها ، والبحث عن سر ما يحيط بها ، وبدا صوته مفعمًا بالعصبية ، وهو يضيف :

- ما الذى يحدث هناك بالضبط ؟!

أجابه أحد رجاله فى حزم :

- أخشى أن يكون بعضهم قد احتلَّ المكان .

هتف القائد :

- كيف ؟! ولماذا ؟! أى محترف يعلم أن القوات الإضافية يمكنها الوصول إلى هنا ، ومحاصرة المبنى كله ، خلال

دقائقِ معدودة ، ويعلم أيضًا أنه من المستحيل أن يجد سبيلاً للفرار ، مهما فعل ، فلماذا يُقدم على حماقة كهذه ؟!

غمغم الضابط :

- إنه مجرَّد اقتراح .

انعقد حاجبا القائد فى توتر أكثر ، وهو يقول :

من المؤكَّد أن ما يحدث بالداخل ليس بالأمر المعتاد ، وليس مجرَّد هجوم تقليدى سخيف أيضًا .. هناك شىء ما ، لا نعرف ماهيته بالضبط !

أتاه من خلفه صوت يقول فى حزم :

- نحن نعرف .

استدار يتطلَّع فى دهشة إلى صاحب الصوت ، الذى يرتدى حلة مدنية أنيقة ، قبل أن يهتف به فى حدة :

- من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟! بل كيف تجاوزت نطاق الأمن ، ووصلت إلى هذه النقطة ؟!

أجابه صاحب الصوت فى هدوء :

- لم يكن من سلطة ضباطك منعى .

ثم التقط من جيبه بطاقة خاصة ، ثلاثية الأبعاد ، من طراز يستحيل تزويره أو تقليده ، وهو يكمل فى حزم :

- الدكتور (رمزى) .. من المخابرات العلمية المصرية .. أعتقد أننا سنتولى الأمر رسميًا ، منذ هذه اللحظة .

تطلع القائد إلى البطاقة فى حدة ، ثم أدار عينيه إلى السيارة الكبيرة ، التى تجاوزت أيضًا نطاق الأمن ، واتجهت نحوهما مباشرة ، حاملة على أحد جانبيها شعار مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، قبل أن يقول فى سخط :

- وماذا علىَّ أن أفعل مع رجالى الآن ؟! هل نجمعهم وننصرف ، ونترك الأمر كله لكم .

أجابه (رمزى) فى هدوء :

- بل ستبقون ياسيِّدى ، فمهمتنا تختلف تمامًا عن مهمتكم .. كل ما فى الأمر أننا نعرف أكثر ، وندرك ما الذى ينبغى فعله ، فى أمور كهذه .. وهذا يعنى ضرورة أن نتعاون معًا .

سأله القائد فى توتر :

- ومن سيكون صاحب القرار الأوَّل هنا ؟!

شدَّ (رمزى) قامته ، مجيبًا فى حزم هادئ :

- أنا .

مطَّ القائد شفتيه ، وهتف فى سخط :

- كنت أعلم هذا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما لمح (سلوى) و (نشوى) ، وهما تغادران سيارة مركز الأبحاث المجهَّزة ، وقال فى حدة ، وهو يبتعد فى عصبية :

- أطلبونا عندما تحتاجون إلينا .

ابتسم (رمزى) ، مغمغمًا :

- بالتأكيد .

سألته (سلوى) ، وهى تشير إلى القائد المبتعد :

- أمتاعب جديدة هى ؟!

أشار لها بيده ، قائلاً :

- لا تشغلى نفسك بهذا .. المهم أن نبدأ عملنا فورًا .. (نور) أكَّد أن الأمر بالغ الخطورة ، وكل دقيقة تمضى ، قد تعنى حياة إنسان .

عاد ثلاثتهم إلى السيارة المجهَّزة ، وأشعلت (نشوى) جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت تراجع الموقف فى سرعة ، قبل أن تقول :

- من الواضح أن نظام الأمن الإليكترونى قد تعرَّض لخلل ما ، والمبنى أصبح معزولاً تمامًا ، حتى إننى عاجزة عن الاتصال بنظمه ، على الرغم من أننى أحد المشاركين فى تصميمها .

سألها (رمزى) فى قلق :

- ما الذى ينبغى أن نفعله إذن ؟!

أشارت إلى أمها ، قائلة :

- هذه مهمتك يا أمى ، فالوسيلة الوحيدة لربط أجهزتنا بنظم التحكُّم والأمن الداخلية ، فى المنطقة العلمية العسكرية ، هى استعادة خطوط الاتصال المباشرة .

قالت (سلوى) فى حزم :

- فليكن .. اتركا لى هذه المهمة .

قال (رمزى) :

- عظيم .. وفى هذه الأثناء ، حاولى اختراق كمبيوتر وزارة الداخلية يا (نشوى) ، وأحضرى لى الملف النفسى الكامل لذلك القاتل .

تحركت أصابع (نشوى) بسرعة ، على أزرار الكمبيوتر ، وهى تغمغم :

- لا توجد أية مشاكل .

تعلَّق بصر (رمزى) بشاشة الكمبيوتر الصغير ، وهو يتابع اختراقه لملفات وزارة الداخلية ، ورأى صورة القاتل تتكوَّن على الشاشة ، و ...

وفجأة ، انطفأت أضواء مبنى المنطقة العلمية العسكرية دفعة واحدة .. ومع انطفائها ، امتقع وجه (سلوى) وهى تهتف :

- يا إلهى !

أجابها (نور) ، فى توتر ، فشل فى تغليفه بلهجة هادئة :

- إنه مجرَّد انقطاع التيار .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تقول :

ـ قلبى يقول : إن الأمر لا يقتصر على هذا .

ثم التفتت إليه ، مستطردة بصوت مرتجف :

ـ إنه نذير .. نذير بتطورات لا يعلمها إلا اللَّه (سبحانه وتعالى) ..

وكانت على حق تمامًا فيما ذهبت إليه ..

فانطفاء الأنوار كان يعنى أن الأحداث تتطورُ إلى منحنى جديد ..

منحنى مخيف ..

رهيب ..

وقاتل ..

* * *

« هذا لا يشعرنى بالارتياح أبدًا .. »

نطق (أكرم) العبارة فى توتر ، وهو يتلفَّت حوله ، وسط الظلام الدامس ، الذى ساد قاعة التجارب الرئيسية ، بعد انقطاع التيار ، فأخرج (نور) مصباحه اليدوى الصغير من جيبه ، وهو يقول فى حزم :

ـ لست أظن هذا أمرًا طبيعيًا ، يتعلَّق بنظم الأمن .

أجابه العقيد (سليمان) وسط الظلام :

ـ بالتأكيد .. لايوجد منطق واحد لقطع التيار الكهربى ، فى أثناء حالات الطوارئ القصوى ؛ لأنه مع إغلاق كل المنافذ ، سيسود ظلام دامس ، كالذى نغرق فيه الآن ، حتى فى وضح النهار ، كما أن انقطاع التيار يوقف عمل نظم الكمبيوتر الثابتة .

قال الملازم (وائل) فى عصبية :

ـ من المفترض أن يكون هناك مولِّد احتياطى .. أليس كذلك ؟!

أجابه العقيد (سليمان) :

ـ بلى ، ولكن من الواضح أن بعضهم قد أوقف عمل المولِّد الاحتياطى أيضًا .

قال الدكتور (عبد الحكيم) بصوت مرتجف :

ـ هو فعلها .

أضاء (نور) مصباحه اليدوى ، وهو يقول فى حزم :

- أوافقك على هذا يا دكتور (عبد الحكيم) ، وأعتقد أنه قد فعل هذا ، حتى يوقف عمل غلاف الطاقة ، الذى يمنعه من الخروج من هنا .

زاد ضوء مصباح (نور) اليدوى من رهبة الموقف ، وهو يتنقّل بين الوجوه الخائفة ، حتى إن الملازم (وائل) غمغم فى عصبية :

- يا إلهى ! أظننى كنت أفضّل الظلام أيها المقدّم .

أجابه (نور) ، وهو يواصل الدوران بضوء مصباحه الصغير فى المكان :

- ربما ، ولكن من الخطر أن نغرق فى هذا الظلام ، فى وجود قاتل طليق ، لا توقفه الحواجز أو الجدران ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من حلق الملازم (وائل) شهقة فزع ، عندما مرّ الطيف بسرعة ، أمام ضوء مصباح (نور) اليدوى ، قبل أن يختفى مرة أخرى فى الظلام ..

وبذعر هائل ، هتف الدكتور (عبد الحكيم) :

- إنه هنا .

تحرّك (نور) بضوء مصباحه فى الظلام أكثر ، وهو يهتف :

- لا تقفوا ثابتين .. تحرّكوا طوال الوقت .. لا تسمحوا له باختراق أجسادكم .

هتف العقيد (سليمان) :

- ولكنه لا يحتاج إلى هذا أيها المقدّم .. فى هذه الظروف على الأقل .

صاح (أكرم) ، وهو يتلفّت حوله ، فى عصبية شديدة :

- بل قل : إنه لا يحتاج إلى دافع .. إنه وحش حقيقى ، يسعى لتعذيبنا وتحطيمنا ، قبل أن يلتهمنا ، واحدًا بعد الآخر .

انطلقت وسط الظلام ضحكة ساخرة مخيفة ، بدت وكأنها تردّ على عبارة (أكرم) ، فأدار (نور) ضوء مصباحه نحو مصدرها فى سرعة ، وشاهد ذلك الطيف ، يغوص فى الجدار ، وهو يواصل ضحكته الساخرة ، ويختفى فيه تمامًا ..

وفى توتر بلا حدود ، هتف الدكتور (عبد الحكيم) :

- إنه يعبث بنا .. يا إلهى ! إنه يعبث بنا .

هتف به (نور) ، وهو يدور حول نفسه فى توتر ، ويحاول تغطية القاعة كلها بضوء مصباحه اليدوى الصغير :

ـ واصلوا التحرّك .. هذا هو المهم الآن .

انطلقت الضحكة الساخرة من يمين (نور) ، فاستدار إليها فى سرعة ، ولم يكد يفعل حتى انطلقت من خلفه ، فاستدار إليها بنفس السرعة ، و ...

وارتطم شىء رخو بمصباحه اليدوى فى عنف ..

وعبر القاعة ، طار المصباح اليدوى ، وسقط أرضًا ، ثم تدحرج نحو الركن ، وتلك الضحكة الوحشية الساخرة تتردّد فى المكان ، فصاح (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد .. أيها القاتل الوغد .

اندفع (نور) نحو المصباح الملقى أرضًا ، مسترشدًا بالضوء المنبعث منه ، وسط ظلام القاعة ..

وفجأة ، وقبل أن يبلغ المصباح ، انطلقت فى المكان شهقة رعب وألم هائلة ، ممتزجة بتلك الضحكة الوحشية الساخرة ، التى امتزجت بنبرة شامتة مخيفة ..

وامتقع وجه الدكتور (عبد الحكيم) وسط الظلام ، وتراجع فى رعب ، ليلتصق بالجدار ، فى حين صرخ الملازم (وائل) :

ـ لا .. لا ..

وصاح (أكرم) فى غضب ساخط ، يحمل رائحة الثورة مع العجز :

ـ أيها الوغد الحقير .. أيها الوغد الحقير ..

قفز (نور) يختطف مصباحه اليدوى ، ودار حول نفسه فى سرعة ، ليضىء أكبر جزء ممكن من القاعة ..

وعلى ضوء المصباح الصغير ، شاهد الكل جسد العقيد (سليمان) يسقط جثة هامدة ، وعيناه متسعتان عن آخرهما فى ألم ورعب ، فى حين يندفع ذلك الطيف القاتل نحو الجدار ، وهو يطلق ضحكاته الساخرة ..

وبكل غضبه ، رفع (أكرم) المسدس الذى يحمله ، وأطلق رصاصاته نحو الطيف ، صارخًا :

ـ أيها القاتل الحقير .

اخترقت رصاصاته ذلك الطيف ، وكأنما لا وجود له ، وارتطمت فى عنف بنفس الجدار ، الذى عبره هو فى سرعة ونعومة مدهشتين ، ليختفى داخله ..

ولثوان ، بعد دوى الرصاصات ، ران على القاعة صمت مهيب رهيب ثقيل ، قطعه (أكرم) ، وهو يهتف فى مرارة :

ـ الوغد .

عضّ (نور) شفتيه فى ألم ومرارة ، مع كل ما يحيط به من موت ودمار ، وأغلق عينيه ، وهو يتنفَّس فى قوة ، فى محاولة لاستعادة هدوئه ، وسيطرته على أعصابه الثائرة المتوترة ، ثم لم يلبث أن رفع ساعة الاتصال إلى شفتيه ، وضغط زرها ، وهو يقول بكل الحزم والحسم :

ـ من القائد إلى الفريق .. الموقف هنا متدهور للغاية .. القاتل أسقط ضحيته الثالثة هنا ، ولسنا ندرى كم ضحية أخرى خارج القاعة .. من الواضح أن قطع التيار الكهربى لم يوقف عمل غلاف الطاقة ، وهذا يثير ثائرته للغاية .. نريد استعادة التيار الكهربى ، ورفع حواجز الأمن بأسرع وسيلة ممكنة .. أكرِّر .. بأسرع وسيلة ممكنة ..

انخلعَ قلب (نشوى) ، مع رسالة (نور) ، وهتفت داخل سيارة مركز الأبحاث :

ـ يا إلهى ! ماذا يمكن أن نفعل ؟! ماذا يمكن أن نفعل ؟!

أجابتها (سلوى) ، وصوتها يرتجف مع انفعالها الجارف :

ـ كل ما باستطاعتنا .

أشار (رمزى) إلى البيانات التى حملتها شاشة (نشوى) ، عن الملف النفسى للقاتل ، وهو يقول فى توتر :

ـ لابد أن نعمل بأقصى سرعتنا بالفعل ، فوفقًا لهذه التقارير ، إنهم يواجهون قاتلاً وحشيًا مجنونًا ، يتلذَّذ بإراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح ، وهو يمنحهم فرصة لإزالة الغلاف ، أو يقتل واحدًا منهم ، كل فترة من الزمن .

قلبت (نشوى) كفيها فى ذعر ، وهى تقول :

ـ ولكننى مغلولة اليد ، مع انقطاع التيار الكهربى عن كل أجهزة الكمبيوتر داخل المبنى . لقد نجحت فى إعادة توصيل أجهزة الاتصال المباشرة ، ولكن هذا لا قيمة له ، مع عدم فاعلية الأجهزة ، التى ينبغى أن أتصل بها .

سألها (رمزى) فى لهفة :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟!

هزَّت رأسها فى توتر ، قائلة :

ـ لابد أن نستعيد التيار الكهربى بأية وسيلة ، ولكن المشكلة أن حجرة التحكُّم الرئيسية توجد داخل نطاق غلاف الطاقة ، الذى لا يمكن لأى شىء اختراقه .

قالت (سلوى) فى حزم متوتر ، وهى تنحنى لالتقاط جهاز صغير من حقيبتها :

- ليس بالضبط .

سألها (رمزى) بكل اللهفة :

- ألديك وسيلة لهذا ؟!

لوّحت بالجهاز الصغير فى يدها ، قائلة :

- وسيلة محدودة ، أعمل على تطويرها ، منذ تم احتجازنا يومًا ، داخل غلاف كبير من الطاقة ، فى مدينة السادس من أكتوبر(*) .

وأشارت إلى جهازها ، مستطردة فى انفعال :

- مشكلته أنه يستطيع تأمين المرور لشخص واحد ، عبر غلاف قوى من الطاقة ، ولمرة واحدة فقط .

مدّ (رمزى) يده ، ليلتقط الجهاز من يدها ، قائلاً فى حماس :

- إنها تكفى .

(★) راجع سلسلة (ملف المستقبل) .. قصة (المجهول) .. المغامرة رقم (١٢١) .

أجابته فى قلق شديد :

- المشكلة الأخرى هى أنه لم تتم تجربته من قبل قط ، فى ظروف فعلية .

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

لا بأس .. سأخاطر .

هتف به (نشوى) :

- ولماذا أنت ؟!

أجاب فى حزم ، وهو يثبت الجهاز فى حزامه :

- لأننا نحتاج إليك وإلى (سلوى) هنا ، لاستعادة السيطرة على نظم الأمن ، وتأمين غلاف الطاقة .

كان جوابه منطقيًا ، على نحو جعلها تلوذ بالصمت ، فى توتر شديد ، فى حين قالت (سلوى) فى انفعال :

- تذكّر أن تضغط هذا الزر الأحمر ، عندما يصدر الجهاز أزيزه ، معلنًا أنك أمام غلاف الطاقة مباشرة ، وبعد أن تضغط الزر ، سيصبح أمامك ثلاث ثوان فحسب ، لاختراق الغلاف ..

ربما تشعر بصدمة محدودة ، أو تسرى فى جسدك شحنة كهربية .. لا يمكننى التنبؤ بالنتائج بالضبط .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عن حجرة التحكُّم الرئيسية ؟! كيف يمكننى إعادة التيار منها ، إلى المبنى كله .

أجابته (سلوى) فى سرعة :

ـ فى أعلى اليسار ستجد ذراعًا صغيرة .. اجذبها إلى أسفل ، وسيبدأ المولِّد الاحتياطى عمله ، وسيمنحك هذا فرصة لإعادة توصيل كابلات الكهرباء الرئيسية المفصولة ، وهى تشبه تلك الموجودة فى منازلنا ، ولكنها أكبر حجمًا .

ثم ناولته جهازًا آخر مضيفة :

ـ وبعد أن تعيد التيار الكهربائى ، ثبت هذا الجهاز على باب حجرة التحكُّم الرئيسية ، ثم اضغط زره الأزرق ، وستحاط الحجرة بغلاف طاقة محدود ، حتى لا يجد ذلك الطيف القاتل وسيلة لقطع التيار مرة أخرى .

دسَّ الجهاز الثانى فى جيب سترته ، وهو يقول فى حزم :

ـ بإذن الله .

اندفع لتنفيذ مهمته ، فهتفت به (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ (رمزى) .

استدار إليها فى سرعة ، فتابعت ، وهى تقاوم دموعها فى صعوبة :

ـ حافظ على نفسك .. من أجلى ، ومن أجل محمود الصغير .

حاول أن يبتسم ، وهو يتمتم :

ـ سأحاول .

ثم وثب خارج السيارة ، قبل أن تضيف هى حرفًا آخر ، واندفع نحو غلاف الطاقة ، فهتف به قائد الفريق العسكرى فى حدة :

ـ ماذا تتصوَّر أنك تفعل بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ـ التزم بعملك يا رجل ، ودع لنا عملنا .

انعقد حاجبا القائد ، وهو يغمغم فى سخط :

- من يظن نفسه بالضبط ؟!

لم يسمع (رمزى) العبارة ، وهو يتحرك بأقصى سرعته ، نحو غلاف الطاقة ، الذى يُرى بصعوبة ، حول أسوار مبنى المنطقة العلمية العسكرية ، مع ذلك التألق شديد الخفوت لأطرافه ..

كان أشبه بقبة كبيرة ، تحيط بالمبنى وأسواره ، وتنتهى على مسافة عشرة أمتار من الأسوار المنيعة المكهربة ، وبوابة المبنى الإليكترونية ..

ولقد شعر (رمزى) بقشعريرة باردة تسرى فى أوصاله ، وهو يتجه نحو غلاف الطاقة ، ويقترب منه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، أطلق الجهاز المثبت فى حزامه أزيزًا متصلاً مباغتًا ..

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ، ولكنه حسم أمره فى سرعة ، وهو يتذكَّر أنه لا يمتلك سوى ثلاث ثوان ، وهو يضغط الزر الأحمر ، و ...

وقفز ..

قفز بكل قوته ، نحو غلاف الطاقة القوى ، وشعر بجسده يرتطم به ، ثم يخترقه فى قوة ..

ولكن فجأة ، سرت فى جسده كله طاقة هائلة ..

طاقة أشبه بصاعقة مباغتة ، جعلت جسده يقفز من مكانه فى عنف ، ويتجاوز غلاف الطاقة ، ثم يطير لثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط أرضًا فى عنف ..

وبكل رعب وهلع الدنيا ، صرخت (نشوى) :

- لا .. لا ..

وامتقع وجه (سلوى) ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، وهى تحدِّق فى جسد (رمزى) ، عبر شاشة الرصد ، فى سيارة مركز الأبحاث ..

فهناك ، بين أسوار المبنى وغلاف الطاقة ، كان (رمزى) ملقى بلا حراك ، على نحو يوحى بأن جسده لم يحتمل عبور غلاف الطاقة ..

لم يحتمله أبدًا .

* * *

٥ـ الضحـايا ..

من المؤكَّد أن كل من بقى على قيد الحياة ، داخل قاعة التجارب الرئيسية ، فى مبنى المنطقة العلمية العسكرية ، كان يحمل فى أعماقه كمًّا لا حدود له ، من التوتر والانفعال ، وكلهم يترقبون عودة ذلك الطيف القاتل ، بين لحظة وأخرى ، وضوء مصباح (نور) اليدوى الصغير يخفت تدريجيًّا ، مع نضوب طاقته ..

وفى انهيار تام ، انكمش الدكتور (أيمن) فى أحد أركان القاعة ، وراح يبكى ويرتجف ، ويردِّد :

ـ سنموت جميعًا .. إنه لن يترك أحدنا حيًّا .. إنه ينتقم منا .

صاح به (أكرم) فى حدة :

ـ اصمت يا هـذا ، وإلا قطعت لسانك ، وأجبرتك على ابتلاعه .

صرخ الدكتور (أيمن) :

ـ أهذا كل ما تملكه ؟! أن تفرغ قوتك كلها فى شخصى الضعيف .

تحرَّك (أكرم) ناحيته ، وهو يقول فى غضب :

ـ قلت : اصمت ، أو ..

اعترض (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ كفى يا (أكرم) .. الموقف لا يحتمل هذا .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ وأنا لا أستطيع احتمال جبنه هذا .

قال (نور) :

ـ ليس كل البشر أقوياء مثلك يا رجل .. لا تغترَّ بقوتك ، ولا تحتقر ضعف الآخرين ، حتى لا تصبح مجرمًا ، مثل ذلك الذى جعل أعصابك تبلغ هذا الحد ..

ضمَّ (أكرم) قبضته فى قوة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر غاضبًا ، إنه لم يلبث أن تراخى بغتة ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ أنت على حق يا (نور) .

ارتجف صوت الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يقول :

ـ ولكن (أيمن) على حق .. ذلك القاتل يريد الانتقام منا ، ولن يهدأ له بال ، قبل أن يظفر بنا جميعًا .

قال الملازم (وائل) فى عصبية :

لماذا لايفعلها دفعة واحدة إذن ، ويريحنا من هذا العذاب ؟!

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يتلفت حوله فى حذر :

ـ لأن هذا سيفقده متعته .

هتف الدكتور (عبد الحكيم) مستنكرًا :

ـ متعته ؟!

أجابه (أكرم) هذه المرة ، وعيناه معلقتان بمصباح (نور) اليدوى ، الذى خفت الضوء الصادر عنه كثيرًا ، حتى بدا أشبه بضوء شمعة تحتضر :

ـ لماذا تظنه يفعل كل هذا إذن ؟! للدفاع عن الوطن ؟!

قال الدكتور (عبد الحكيم) فى توتر :

ـ لا يمكننى أن أتصورَّ مخلوقًا طبيعيًا يستمتع بإزهاق الأرواح وإراقة الدماء !

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هاأنتذا تلتقى به شخصيًا .

تلفَت الرجل حوله فى توتر مذعور ، وهو يقول فى حدة :

ـ ومن ذا الذى يرغب فى رؤيته ؟!

ثم تساءل فى هلع :

ـ هل تعتقدون أنه يتربَّص بنا الآن ، داخل أحد هذه الجدران ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، قبل أن يقول :

لا أحد يدرى ، أين يمكن أن يكون الآن .

مع آخر حروف عبارة (نور) ، توهَّج ضوء مصباحه اليدوى بغتة ، وكأنما يفرغ آخر ما تبقَّى له من طاقة ، ثم لم يلبث أن انطفأ دفعة واحدة ، لتغرق القاعة مرة أخرى فى ظلام دامس رهيب ..

وخفقت قلوب الكل بمنتهى العنف ..

فالظلام هذه المرة كانت له رائحة رهيبة ..

رائحة موت ..

نفَاذة ..

* * *

فجأة ، انتفض جسد (رمزى) ..

واستعاد عقله وعيه دفعة واحدة ..

وبحركة مباغتة ، أدهشت الكل ، هبَّ من رقاده ، هاتفًا :

ـ رباه ! لقد فقدت الوعى ، وأضعت وقتًا ثمينًا .

ضغط زر أداة الاتصال الخاصة فى ساعته ، وهو يعدو نحو بوَّابة المبنى ، هاتفًا :

ـ (سلوى) .. (نشوى) .. هل فقدت الوعى طويلاً .

أتاه صوت زوجته (نشوى) ، وهى تطلق زفرة متوترة ، من أعمق أعماق صدرها ، مجيبة بكل توتر الدنيا :

ـ دقيقتان كاملتان يا (رمزى) .. يا إلهى ! لقد كدت تقتلنا رعبًا .

هتف ، وهو يبلغ البوَّابة الإليكترونية :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. لن أضيع لحظة واحدة بعد الآن .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وضغط زر البوَّابة مرة .. ومرة .. ومرات ..

ولا من مجيب ..

تذكَّر فجأة أن الطاقة الكهربية غائبة عن المبنى كله ، فغمغم فى عصبية :

ـ ولكن أين رجال الحراسة ؟! كيف تركونى أصل إلى هنا ، دون أن يرصدنى أو يعترضنى أحدهم ؟!

مال برأسه ، ليلقى نظرة على المكان من الداخل ، إلا أن زاوية الرؤية كانت مستحيلة تمامًا ، من هذه الزاوية ، فهزَّ رأسه مرة أخرى فى قوة ، قائلاً :

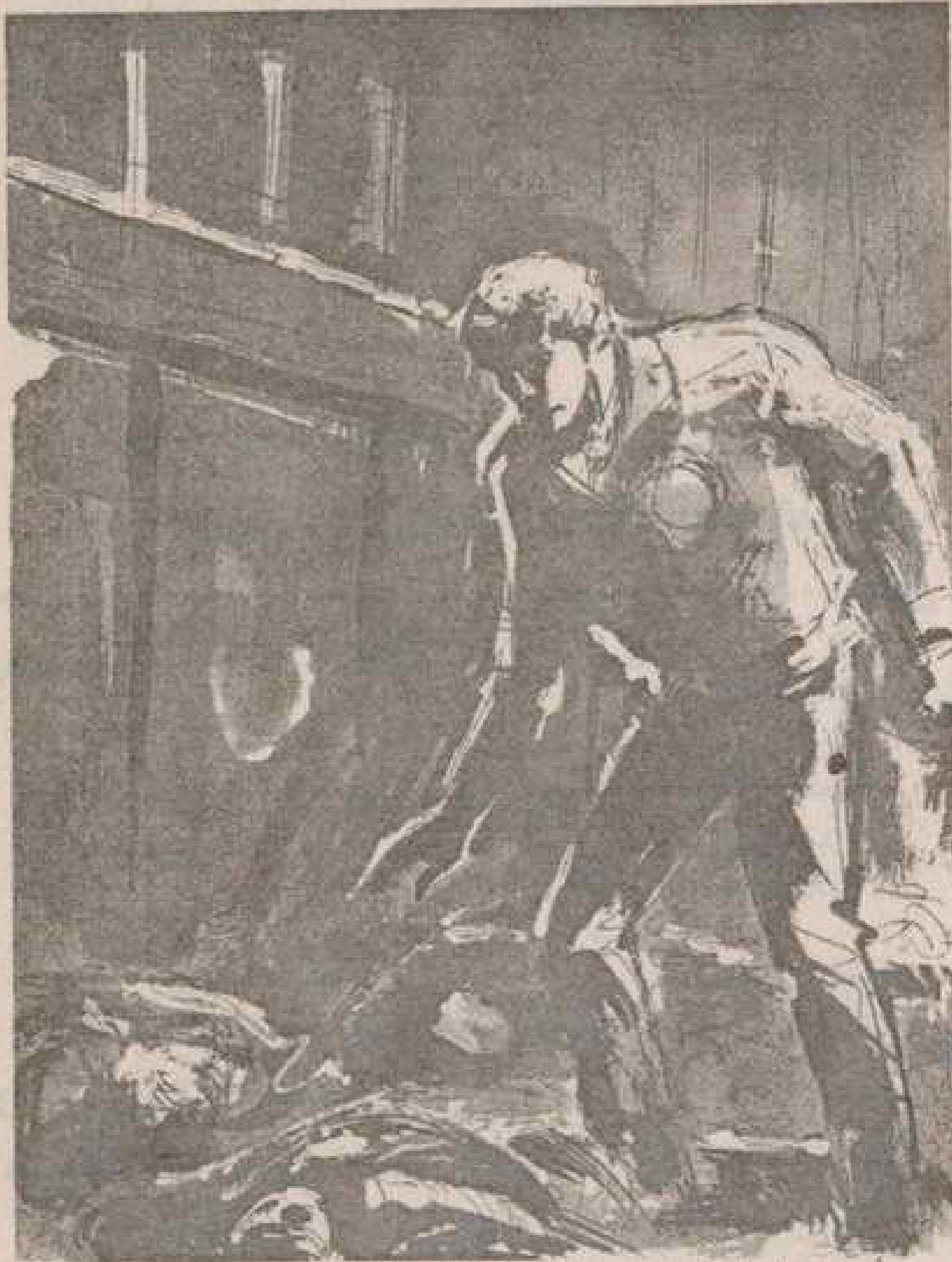
ـ رباه ! الأمر مريب للغاية .

تراجع قليلاً عن البوَّابة ، وقاس ببصره ارتفاع الأسوار ، قبل أن يضيف :

ـ لعل هذه هى الفائدة الوحيدة لانقطاع التيار .

قالها ، ووثب يتعلَّق بالسور ، الذى يبلغ ارتفاعه مترين ونصف المتر تقريبًا ، والذى فقد طاقته الكهربية ، مع انقطاع التيار ، وتعلَّق به ، ثم استنفر كل قواه ، ليدفع جسده إلى أعلى ، ثم عبر السور ، وقفز داخل ساحة المبنى ، وهو يلهث مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! كثيرًا ما ألوم نفسى ، على انشغالى بالعلم ، وإهمالى للرياضة البدنية .



جولَت عيناه فى فزع ، بين الأجساد المتناثرة ، لدستة من رجال الحراسة والأمن ..

لم يكد ينطقها ، حتى لمح ذلك الجسد الملقى ، على مسافة متر واحد منه ، فتراجع بحركة حادة ، هاتفًا فى ذعر :

- رباه ! أى هول هذا ؟!

جولَت عيناه فى فزع ، بين الأجساد المتناثرة ، لدستة من رجال الحراسة والأمن ، الذين لقوا مصرعهم ، وأمارات الألم والرعب محفورة على ملامحهم ، على نحو رهيب مخيف ، جعله يشيح بوجهه ، متابعًا :

- يا للبشاعة !

كان يدرك ، بحكم دراسته ، وخبرته فى التحليل النفسى ، أنه يواجه قاتلاً مجنونًا ، يعشق القتل ، ويستمتع بإراقة الدماء ، وخاصة عندما ينتقى ضحاياه ممن يرتدون الأزياء العسكرية أو الرسمية ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل تصوراته ، لم يتوقع رؤية هذه المذبحة البشعة الرهيبة ، التى اضطرب لها قلبه بين ضلوعه ، وهو يعدو مبتعدًا ، بحثًا عن حجرة الكهرباء الرئيسية ..

ولكنه لم يستطع العثور عليها فى الساحة ..

وبكل توتره ضغط زر الاتصال الخاص فى ساعته ، قائلاً :

ـ أين يمكننى العثور على حجرة الطاقة الكهربية الرئيسية ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

فى الساحة الخلفية للمبنى .. إلى أقصى اليسار .

انطلق يعدو ، متفاديًا الجثث المتناثرة فى الساحة ، حتى بلغ المنطقة ، التى أشارت إليها (نشوى) ، وتعلَّق بصره بسيارة النقل الخاصة ، وهو يغمغم :

ـ تُرى هل ؟!

اندفع نحو السيارة ، ودار حولها ، قبل أن يهتف :

ـ حمدًا للَّه .. ها هى ذى ..

وبكل لهفته ، اندفع يحاول تنفيذ تعليمات (سلوى) ، وقلبه يخفق فى عنف ، وكل ذرة فى كيانه تتساءل : تُرى هل وصل فى الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

* * *

« سيظهر فى أية لحظة .. »

قال الدكتور (أيمن) هذا فى انهيار ، وهو ينكمش على نفسه أكثر وأكثر ، وسط الظلام الدامس ، قبل أن يضيف باكيًا :

ـ لن يبقى أحدنا حيًّا .

صاح (أكرم) ، وهو يمسك أذنيه فى ثورة :

ـ (نور) .. هذا الجبان يكاد يصيبنى بالجنون .

قال (نور) فى توتر ، وهو يتحرَّك فى المكان ، متلمسًا طريقه وسط الظلام :

ـ المسكين مصاب بانهيار عصبى ، من شدة الخوف .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ كان الأفضل أن يلقى مصرعه ، بدلاً من أن نصاب كلنا بالانهيار مما يفعله .

قال (نور) ، فى توتر متزايد :

ـ المشكلة أنه الوحيد المنكمش فى مكانه ، بحيث يصبح الصيد الأكثر سهولة ، بالنسبة لذلك الطيف القاتل .

صرخ (أيمن) فى ذعر ، وهبَّ واقفًا ، وهو يصيح :

ـ لا .. لا .. سأتحرَّك .. سأتحرَّك طوال الوقت ، ولكن دعوه يبتعد عنى .. أرجوكم .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت .

صاح به (أكرم) فى حدة :

ـ اصمت أيها الحقير .. إنك تقتلنى بجبنك السخيف هذا .

قال (نور) فى عصبية :

ـ اتركه لحاله يا (أكرم) ، وصمَّ أذنيك عن صياحه .

صاح (أكرم) :

ـ ليتنى أستطيع .

غمغم الملازم (وائل) ، فى عصبية شديدة :

ـ ليتنا كلنا نستطيع الخروج من هنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الرفاق فى الخارج يبذلون قصارى جهدهم ، ولن يدخروا جهدًا لإخراجنا من هنا .

قال الدكتور (عبد الحكيم) فى مرارة :

ـ أحياء أم موتى .

أجابه (نور) :

ـ هذا فى علم اللّه (سبحانه وتعالى) وحده .

زفر الدكتور (عبد الحكيم) وقال :

ـ سبحان اللّه .. مصيرنا كله الآن بيده وحده .

هتف الملازم (وائل) :

ـ آه لو يعود التيار الكهربى ! هذه الظلمة تضاعف من توترى ألف مرة .

غمغم (نور) :

ـ سيعود بإذن اللّه .

قال الدكتور (عبد الحكيم) متوترًا :

ـ ولكن ماذا لو ..

قبل أن يتمَّ تساؤله ، سطعت الأضواء فى القاعة فجأة ، فانتفضت أجسادهم كلها فى عنف ، قبل أن تتسع عينا

الدكتور (عبد الحكيم) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى المنطقة التى يقف عندها (نور) ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !

وتجمّد (أكرم) و (وائل) فى مكانيهما ، فى حين أطلق (أيمن) صرخة رعب هائلة ..

فهناك ، وخلف (نور) مباشرة ، كان يقف ذلك الطيف القاتل ..

وكانت يده تمتد نحو الضحية الجديدة ..

نحو رأس (نور) ..

مباشرة ..

* * *

ارتجف جسد (نشوى) ، وصوتها فى انفعال ، وأصابعها تجرى بسرعة على أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

ـ على الرغم من أننى قد شاركت فى إعداد هذا النظام الأمنى ، فى المنطقة العلمية العسكرية ، إلا أن شيئًا ما يمنعنى من الدخول إليه ، حتى باستخدام الشفرة الخلفية ..

أجابتها (سلوى) ، وهى تتابع شاشة الكمبيوتر فى اهتمام قلق :

ـ ربما فسد نظام التشغيل نفسه .

قالت (نشوى) فى عصبية :

ـ هذا ما حدث على الأرجح .

واصلت التعامل مع أزرار الكمبيوتر ، وهى تتابع فى توتر :

ـ المطلوب من الآن التوحُّد مع نظام التشغيل ، داخل المنطقة العلمية العسكرية ، والعمل على إصلاح ما أصابه من تلف ، ثم الانتقال إلى مرحلة إصلاح نظام الأمن ، وإزالة الحواجز ، وهذا يحتاج إلى بعض الوقت .

قالت (سلوى) ، وهى تعمل على جهازها بدورها :

ـ المهم أن يتمّ هذا بنجاح .

هتفت (نشوى) :

ـ وفى أسرع وقت ممكن .

وانطلقت من أعماق أعماق صدرها زفرة متوترة ، قبل أن تتابع :

لقد قالها أبى بنفسه : كل دقيقة تمضى ، تعنى سقوط ضحية جديدة .

وارتجف صوتها فى عنف ، وهى تستطرد :

- ولن يمكننى احتمال أن يكون أبى ، أو (رمزى) ، أو (أكرم) ضمن قائمة الضحايا .. لن يمكننى احتمال هذا أبدًا .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى جاءها صوت (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يقول فى انفعال :

- لن يمكنكما تصديق ما أراه هنا .. لقد أصلحت وحدة التحكم الكهربية الرئيسية ، وأحطتها بالغلاف الواقى المحدود لحمايتها ، ولكننى عاجز عن فعل أى شىء آخر ، فالساحة معزولة تمامًا عن باقى طوابق المبنى ، و ... وهى تكتظ بالقتلى والضحايا .

هتفت (سلوى) :

- رباه ! وما الذى فعل بهم هذا ؟!

أجابها فى عصبية :

- بل قولى : من القاتل الوحشى الذى فعل بهم كل هذا ؟!

قالت (نشوى) فى شحوب :

- أتعنى أنه ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، ولكنه أجاب فى انفعال :

- نعم .. إنه ذلك الطيف القاتل ، الذى وصفه لنا (نور) .. لقد قتل كل من يرتدى زيًا رسميًا ، دون رحمة أو شفقة ..

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يضيف :

- والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى أصاب الآخرين ، فى باقى المبنى .

امتقع وجه (سلوى) ، وسقط قلبها بين قدميها ، وهى تهتف :

- رباه ! (نور) !!

ثم أسرعت تضغط زر جهاز الاتصال الخاص ، هاتفة :

- (نور) .. أنا (سلوى) .. أجب .. ما الموقف لديكم الآن ، بعد استعادة الأضواء ؟!

صمتت بضع لحظات ، فى انتظار الجواب ، إلا أن جهاز الاتصال الخاص ظلّ صامتًا على نحو جعلها تهتف فى انزعاج :

ـ (نور) .. أجب يا (نور) .

جاوبها الصمت المطبق مرة أخرى ، فاتسعت عيناها فى رعب ، وارتجف قلبها بين ضلوعها بمنتهى العنف ، وانخلع قلبها فى قسوة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! (نور) ..

انطلق هتافها ، وكل مشاعرها تصرخ فى أعماقها : تُرى ماذا أصاب زوجها ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

لحظة واحدة ، استغرقها (أكرم) فى ذلك الجمود ، الذى سيطر عليه ، من شدة الخوف والدهشة ..

ثم انتزع نفسه من كل هذا دفعة واحدة ، وبسرعة مدهشة ، ليندفع نحو (نور) ، صارخًا :

ـ احترس أيها القائد .

تحرك (نور) فى سرعة ، مع صرخة (أكرم) ، ونظرات الرعب فى عيون الكل ، ووثب جانبًا ، متفاديًا حركة يد الطيف ، الذى تراجع بدوره ، عندما وثب (أكرم) يدفع (نور) بعيدًا ..

وبكل رعبه ، صرخ الدكتور (أيمن) :

ـ لا تقتلنى .. أرجوك .. لا تقتلنى .

أما الدكتور (عبد الحكيم) ، فقد التصق بالجدار فى هلع ، فى حين تراجع الملازم (وائل) ، وهو يتمتم فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

نقل الطيف بصره بينهم فى شراسة ، قبل أن تستقر عيناه الوحشيتان على (نور) و (أكرم) ، وهما ينهضان من الركن ، فهتف به الأخير فى عصبية :

ـ لا تحاول أيها الوغد .

ابتسم الطيف فى وحشية ، وهو يتجه نحوهما ، فضغط (نور) يد (أكرم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لو تصوَّرت أن ما تفعله سيخدِّر مشاعرنا فأنت واهم .

لم يفهم الدكتور (عبد الحكيم) أو الملازم (وائل) ما يعنيه (نور) بقوله هذا ، فتطلعا إليه فى حيرة ، فى حين رفع الدكتور (أيمن) ذراعيه ليحمى وجهه ، صائحًا :

- أنا لم أفعل شيئًا .. لا تقتلنى .. أريد أن أعيش .. أريد أن أعيش .

تبادل (أكرم) نظرة صامتة مع (نور) ، الذى أشار بعينيه إلى الحجرة الزجاجية المضادة للرصاصات ، فى منتصف القاعة ، فاعتدل (أكرم) ، يقول فى صرامة :

- لاتتوسَّل لهذا الوغد الحقير يا رجل .. ليس باستطاعته أن يؤذى ذبابة بعد الآن .

استدار إليه الطيف ، وهو يزمجر فى شراسة ، فتقدَّم (أكرم) نحوه ، قائلاً فى تحدٍ سافر :

- هأنذا أيها الوغد .. أتحداك أن تمسّ شعرة واحدة منى .

امتقع وجه الدكتور (أيمن) ، واتسعت عينا الملازم (وائل) ، فى حين هتف الدكتور (عبد الحكيم) فى ارتياع :

- يا إلهى ! هل جننت يا رجل ؟!

ولكن (أكرم) واصل تحديه ، قائلاً فى صرامة :

- هيا .. أرهم مهارتك وقدراتك .. هيا .. إننى أتحداك أيها الوغد الحقير .

زمجر الطيف فى شراسة غاضبة ، وتحرَّك بحركة حادة نحو (أكرم) ، إلا أنه لم يلبث أن توقَّف ، وتلفَّت حوله فى حذر ، فاتجه (أكرم) نحو الحجرة الزجاجية ، هاتفًا بأسلوب متحدٍّ مستفز :

- أرأيت ؟! أنت أحقر بالفعل من أن تواجه شخصًا يتحداك .. هذايخيفك .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا الطيف ، فى غضب أكثر ، واندفع نحو (أكرم) ، ولكن هذا الأخير وثب نحو جهاز التحكُّم ، وضغط أحد أزراره ، فانفتح باب الحجرة الزجاجية ، وهو يقول ، فى لهجة حملت سخرية كبيرة هذه المرة :

- هيا أيها الوغد .. سأتحداك أكثر ؛ لأثبت لك فشلك وتفاهتك .. سأواجهك فى نفس الحجرة ، التى بدأ فيها كل شىء ..

قالها ، واندفع داخل الحجرة الزجاجية ، وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً بابتسامة ساخرة متحدية :

- هل ستجرؤ على هذا ؟!

توقَّف الطيف ، وزمجر مرة أخرى ، وأدار عينيه الوحشيتين فى وجوه الجميع ، قبل أن يستقر عند وجه (نور) ، الذى بدا هادئًا مترقبًا أكثر من اللازم ، فى حين كرَّر الدكتور (عبد الحكيم) فى انزعاج شديد :

ـ لقد جن الرجل تمامًا .

وقف الطيف ثابتًا فى مكانه ، يتطلَّع إلى (نور) فى حذر ، و (أكرم) يواصل استفزازه ، على هذا النحو السافر ، قائلاً فى سخرية :

ـ يا لك من وغد حقير جبان !

زمجر الطيف ، وهو ينقل بصره إليه ، فى حذر غاضب ..

ثم فجأة ، تراجع إلى الخلف ، واندفع يخترق أحد الجدران ، ويختفى داخله تمامًا ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ يا للوغد !

هتف به (نور) :

ـ ابق فى مكانك .

نقل الدكتور (عبد الحكيم) بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ ما الذى تعنيه حماقتكما هذه بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يرفع جهاز الاتصال المحدود فى ساعته إلى شفتيه :

ـ لا تشغل نفسك بأمرنا يا دكتور (عبد الحكيم) .. أنا وزميلى يفهم بعضنا البعض ، ولسنا بحاجة لشرح ما لدينا علانية ، فى مثل هذه الظروف .

قال الملازم (وائل) فى حدة :

ـ ولكننا جميعًا فى بوتقة واحدة ، وأى خطأ ترتكبانه ، يمكن أن يعنى مصرعنا جميعًا .

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يضغط زر الاتصال :

ـ وأى صواب نقوم به ، يمكن أن يعنى نجاتنا جميعًا أيضًا .

قال الملازم (وائل) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكنكما فعله ، مع شىء كهذا ؟!

امتزج قوله بأزيز حاد ، انطلق من ساعة (نور) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا للسخافة ! جهاز الاتصال الخاص تحطَّم ، مع سقوطى أرضًا .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الحكيم) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- رباه ! أتعنى أنه لم تعد لدينا وسيلة اتصال واحدة هنا .

انعقد حاجبا (نور) أكثر ، دون أن يجيب ، وأدار عينيه فى توتر إلى الهاتف العادى فى ركن القاعة ، قائلاً :

- ليس إذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أطلق الدكتور (أيمن) صرخة رعب هائلة ، وهو يحدّق فى نقطة ما خلف (أكرم) ، الذى استدار إلى حيث يحدّق الرجل فى سرعة ، وفوجئ بذلك الطيف ، وهو يعدو من الجدار المقابل ، ويخترق الحجرة الزجاجية ، ثم ينقضّ عليه بكل وحشية الدنيا ، وهو يُطلق صرخة وحشية ..

صرخة تعنى أن هدفه الأساسى هو القتل ..

وبلا رحمة .

* * *

٦ - السيطرة ..

« لن أنتظر ، حتى يتم إصلاح نظام الأمن .. »

نطقت (سلوى) العبارة فى حزم صارم متوتر ، وهى تلتقط أحد أجهزتها ، فسألتها (نشوى) فى توتر :

- وما الذى يمكننا فعله ، بخلاف هذا ؟!

ضغطت زر جهاز الاتصال الخاص ، قائلة :

- (رمزى) .. هل تسمعنى ؟!

أتاها صوته ، مجيبًا فى لهفة :

- بالتأكيد يا (سلوى) .. هل من جديد ؟!

أجابت فى توتر :

- أأنت قريب من مدخل المبنى الرئيسى ؟!

قال ، بعد وهلة من الصمت :

- إنه على بعد أمتار قليلة .. أنا فى طريقى إليه بالفعل .

قالت ، وهى تعدّ جهازها الجديد فى سرعة :

- أخبرنى عندما تصل إليه .

مضت لحظات من الصمت ، وهى تعمل فى جهازها بسرعة ، وتوصله بجهاز الاتصال الخاص ، بوساطة سلكين رفيعين ، قبل أن ينبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- أنا أمامه مباشرة .

سألته فى اهتمام :

- أيمكنك أن تصف رتاجه الإليكترونى ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالتأكيد .. إنه مستعرض ، ذو أطراف مستديرة ، وزوايا ناعمة ، ويحوى شقًّا خاصًّا ، لبطاقات الهوية المغنطيسية ، ومجموعة من الأزرار الصغيرة .

قالت فى اهتمام ، وأصابعها تنتقل من جهازها ، إلى أزرار الكمبيوتر :

- عظيم .. ابحث فى جهاز الاتصال الخاص عن دائرة مذهَّبة ، واجذبها إلى الخارج ، لتخرج سلك الاتصال المباشر .

جذب (رمزى) تلك الدائرة المذهَّبة ، ورأى سلكًا رفيعًا طويلاً ، يبرز من الساعة ، فقال فى اهتمام :

- ها هو ذا .

قالت (سلوى) فى توتر ، وأصابعها ما زالت تجرى على أزرار الكمبيوتر :

- اجذب الكرة المذهَّبة ، وألصقها بالطرف العلوى ، للشقّ الخاص بالبطاقات الممغنطة .

أجابها بعد لحظة واحدة :

- لقد فعلت .

تألَّقت عيناها ، وهى تقول فى خفوت :

- عظيم .

قالتها ، وضغطت زرًّا آخر ، فى لوحة أزرار الكمبيوتر ، فسألتها (نشوى) فى اهتمام ، مع الأرقام التى تراصت على الشاشة :

- ماذا تفعلين بالضبط يا أمى ؟!

أجابتها فى حزم :

- أتلف شفرةَ الإدخال .

هتفت (نشوى) فى دهشة مستنكرة :

- تتلفينها ؟!

أجابتها فى حزم أكثر :

- نعم .. تمهيدًا لنسف الرتاج الإليكترونى كله .

قالتها ، وعادت تضغط أزرار الكمبيوتر مرة أخرى ، فتسارعت الأرقام على شاشة الكمبيوتر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم ثبتت الأرقام فى صف واحد ..

وهنا ، ضغطت (سلوى) زرًا ، فى جهازها الجديد ، وهى تقول :

ـ على بركة الله .

انطلقت من جهازها موجة صوتية فائقة القصر ، انتقلت عبر الجهاز ، إلى جهاز الاتصال الخاص ، ومنه إلى جهاز (رمزى) ، الذى نقلها ، عبر ذلك السلك الرفيع ، إلى الرتاج الإليكترونى ..

ومرة أخرى ، تسارعت الأرقام على شاشة الكمبيوتر ..

ولكنها كانت تتبدَّل بسرعة البرق هذه المرة ، وكأنما أصيب الكمبيوتر بالجنون ، و ...

وفجأة ، استقرَّ صف الأرقام دفعة واحدة عند الصفر ..

وفى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، فى سيارة مركز الأبحاث ، أطلق الرتاج الإليكترونى ، المتصل بساعة (رمزى) ، أزيزًا عاليًا رفيعًا ..

ثم ارتجَّ كله بدوى مكتوم ..

وتصاعد منه دخان كثيف ..

وفى بطء وهدوء ، تحركت أبواب المدخل الرئيسى للمبنى ، كاشفة الطابق الأرضى أمام عينى (رمزى) ، الذى هتف ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ رباه ! لقد نجحت يا (سلوى) .. لقد فعلتها .

أجابته فى توتر ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر مرة أخرى :

ـ لا تتعجَّل يا صديقى .. سنكرِّر ما فعلناه ، فى كل طوابق المبنى ، وأتعشَّم أن يحتمل جهاز الاتصال الخاص هذا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تزدرد لعابها فى صعوبة ، مضيفة :

ـ وأن نصل فى الوقت المناسب .

خفق قلبا (رمزى) و (نشوى) فى عنف ، عندما نطقت عبارتها الأخيرة ، وقال الأوَّل فى توتر ، وهو يدلف إلى الطابق الأرضى :

ـ بإذن الله يا (سلوى) .. بإذن الله .

لم يكن يحبذ الاشتباك فى أى قتال عنيف ، بحكم طبيعته الهادئة ، ومهنته البعيدة عن العنف ، إلا أنه ـ وهو يدلف إلى المكان ـ التقط مسدسه من غمده ، وأمسكه بأصابعه

فى قوة ، وتقدَّم إلى المكان ، وصوت (سلوى) ينبعث من جهاز الاتصال الخاص ، قائلة فى توتر :

ـ أسرع يا (رمزى) .. كل دقيقة لها ثمنها ..

قال (رمزى) فى حزم :

ـ اطمئنى يا (سلوى) .. سوف ...

بتر عبارته بغتة ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية عنيفة ، فصاحت (نشوى) فى هلع ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ ماذا حدث يا (رمزى) ؟! ماذا حدث ؟!

ولكنها لم تتلق جوابًا ..

على الإطلاق ..

وبكل الرعب والعنف ، انتفض قلبها بين ضلوعها ، وصرخت :

ـ (رمزى) .. (رمزى) ..

ولكن جهاز الاتصال الخاص ظلّ صامتًا على نحو رهيب .. ومخيف ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى اندفع فيها ذلك الطيف إلى المكان ، وهو يطلق صرخته الوحشية ، وثب (نور) نحو جهاز التحكم فى الحجرة الزجاجية ، وهو يصرخ :

ـ ابتعد يا (أكرم) .. ابتعد ..

صاح الدكتور (عبد الحكيم) :

ـ أنقذه أيها المقدم .. أنقذه .

ولكن (نور) ضغط زرًا فى جهاز التحكُم ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) جانبًا ، متفاديًا انقضاضة الطيف ، وهو يهتف :

ـ إذن فقد عدت أيها الوغد .

استدار إليه الطيف فى وحشية ، وانطلقت من حلقه الهلامى زمجرة مخيفة ، فتراجع (أكرم) ، قائلاً :

ـ هيا .. حاول أن تواجهنى مرة أخرى .

مع كلماته ، تحرك باب الحجرة الزجاجية ، ليغلقها فى إحكام ، فاتسعت عينا الملازم (وائل) فى دهشة مذعورة ، وهو يهتف :

ـ ماذا تفعل أيها المقدّم ؟!

صاح به (نور) ، فى صرامة عصبية :

ـ اصمت .

وتابعت عيناه تلك المناورة العنيفة ، داخل الحجرة الزجاجية ، بين (أكرم) وذلك الطيف ، وهو يضغط زرًا آخر ، مغمغمًا فى توتر :

ـ ساعده يا إلهى ! ساعده .

كان موقفًا عجيبًا بالفعل ، عجز الرجال الثلاثة فى الحجرة عن فهمه ، عندما رأوا (نور) يغلق باب الحجرة الزجاجية على زميله ، بدلاً من أن يساعده على الفرار منها !

ولكن فجأة ، ومع ضغطة الزر الأخير ، أدرك الكل ما يهدف إليه (نور) ..

أدركوه مع ذلك الفحيح ، الذى انطلق بقوة ، داخل الحجرة الزجاجية ، مع انطلاق الغاز المخدِّر داخلها فى قوة ..

وبضحكة ساخرة عالية ، هتف (أكرم) ، قبل أن يكتم أنفاسه فى قوة :

ـ والآن ماذا ستفعل أيها الوغد ؟!

تلفَّت الطيف حوله فى غضب مذعور ، ورفع عينيه إلى الفتحات ، التى ينبعث منها الغاز المخدِّر ، ثم رمق (نور) بنظرة تفيض بالمقت والثورة ، قبل أن يندفع نحو الجدار الزجاجى للحجرة ، ويخترقه بقفزة واحدة ، متجهًا نحو الجدار ، و ...

وفجأة ، اختلَّ توازنه ، ودار حول نفسه ، وزاغت عيناه ، وسقط على ركبتيه ، وهو يطلق صرخةً وحشيةً مختنقةً ..

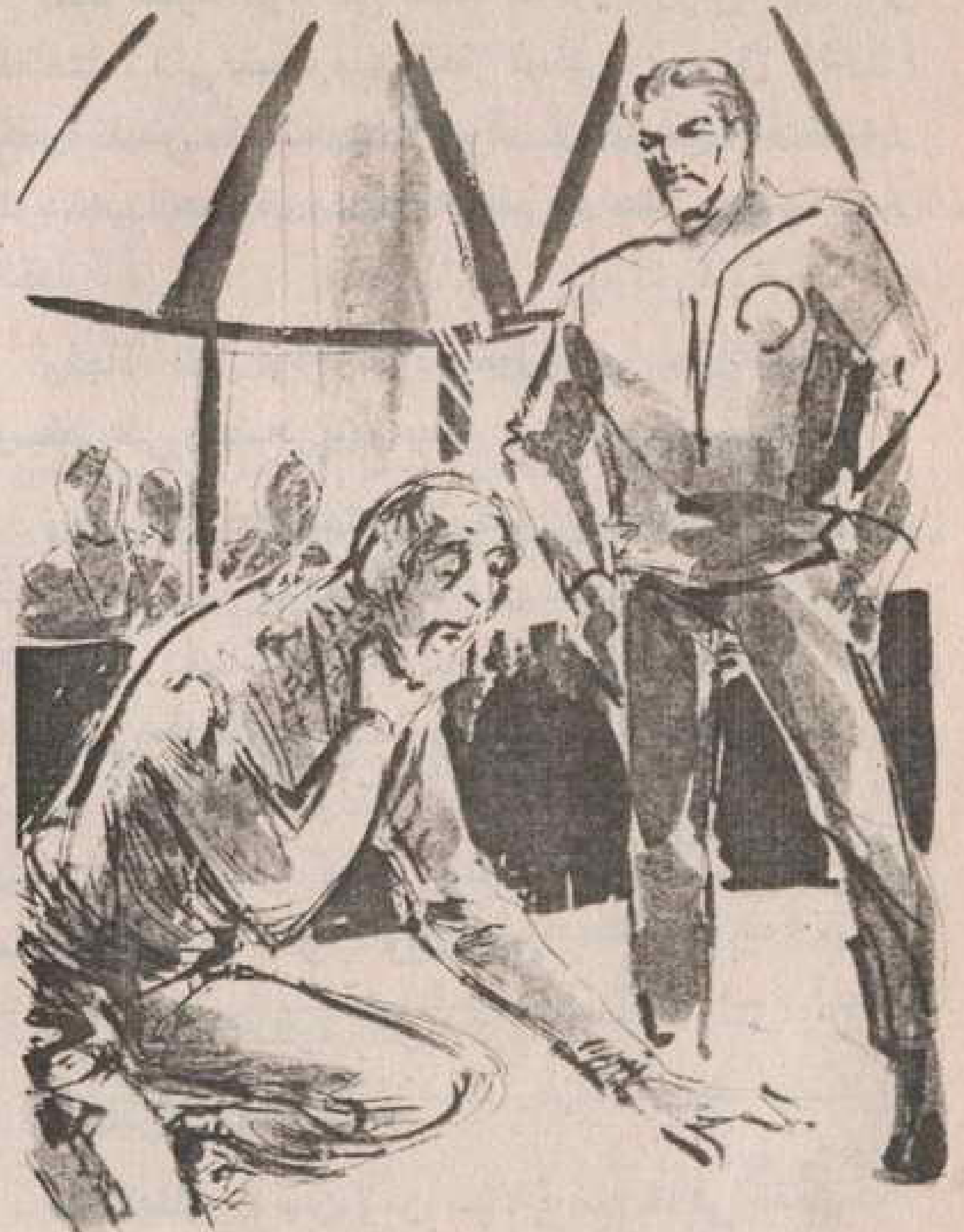
وحدَّق الكل فيه بدهشة ، ثم نقلوا أبصارهم إلى (أكرم) ، الذى وقف ثابتًا ممشوقًا ، داخل الحجرة الممتلئة بالغاز المخدِّر ، وكأنما لا يشعر بتأثيره قط ، فى حين حاول الطيف النهوض ، فاختلَّ توازنه مرةً أخرى ، وسقط أرضًا ، ثم نهض مرةً ثانيةً ، وأطلق صرخةً غاضبةً ، وحاول أن يزحف نحو الجدار ، ولكن رأسه سقط أرضًا فجأة ، وارتفع منه صوت أشبه بخوار ثور جريح ..

وفى صلابة ظافرة ، قال (أكرم) :

ـ خسرت أيها الوغد .

قفز الدكتور (أيمن) من مكانه ، صارخًا فى انفعال :

ـ هل .. هل مات ؟!



وفجأة ، اختل توازنه ، ودار حول نفسه ، وزاغت عيناه ، وسقط على ركبتيه وهو يطلق صرخة وحشية ..

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زرًا آخر ، لتشغيل أجهزة شفط الغاز وتنقية الهواء ، داخل الحجرة الزجاجية المغلقة :

ـ بل فقد وعيه فحسب .

سأله الدكتور (عبد الحكيم) فى انفعال :

ـ ولماذا لم يتأثَّر زميلك بهذا ؟!

اتجه (نور) نحو الطيف الساقط أرضًا ، وهو يجيب :

ـ (أكرم) استخدم واحدة من وسائلنا الخاصة ، فى المخابرات العلمية .. مصفاة غاز دقيقة ، صغيرة الحجم ، توضع فى فتحتى الأنف ، لمنع مرور أى غاز ، بخلاف غازات الهواء الطبيعية .

تساءل الملازم (وائل) فى انفعال :

ـ ولكن ماذا نفعل به ، بعد أن فقد وعيه ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى ، هذا سيتوقَّف على درجة تماسك خلاياه ، بعد أن فقد الوعى .

انفتح باب الحجرة الزجاجية فى تلك اللحظة ، فاندفع (أكرم) خارجها ، وهو يقول :

ـ دعنا نختبر هذا بدق عنقه .

قالها ، وانحنى ليمسك ذراع الطيف ، ولكن يده غاصت فيه ، دون أدنى إحساس بالتماس ، وإن سرت فى جسده قشعريرة باردة ، جعلته يهتف :

ـ يا إلهى !

قال (نور) فى توتر :

ـ خلاياه لم تستعد تماسكها .. أليس كذلك ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ وكأنما لا وجود لهذا الوغد .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ الكهرباء .

سأله الدكتور (عبد الحكيم) :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنه مجردُ استنتاج .. أو فلنقل إنه تخمين علمى ، يعتمد على أن الكهرباء ، التى منحته قدراته الفائقة هذه ، قد تكون أيضًا الوسيلة المثلى لسجنه ، ولو أننا استطعنا انتزاع جزء من الشبكة ، التى تحيط بالحجرة الزجاجية من الداخل ، وأحطنا جسده بها ، ثم أوصلناها بالتيار الكهربى ، فربما يمكننا السيطرة عليه ، أو ...

قاطعته شهقة قوية ، انطلقت من حلق (أكرم) ، فاستدار إليه فى سرعة ، ورآه يشير إلى الطيف ، وهو يتراجع ، هاتفًا :

ـ هل ترى هذا ؟!

صرخ الدكتور (أيمن) فى رعب ، وشهق الدكتور (عبد الحكيم) مذعورًا ، فى حين تراجع الملازم (وائل) بحركة حادة ، كما لو أن صاعقة قد ارتطمت بصدره ..

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى الطيف ، الذى تصاعد الغاز من جسده فى نعومة ، بعد أن عجزت الخلايا غير المتماسكة عن الاحتفاظ به ..

ثم فجأة ، فتح الطيف عينيه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير بصره إلى (نور) و (أكرم) ، الذى كرّر فى توتر بالغ :

- يا إلهى !

وفى بطء شديد ، وبنظرة ملؤها المقت والكراهية ، نهض الطيف واقفًا ، فانهار الدكتور (أيمن) ، ورفع قبضتيه المضمومتين فى ضراعة ، صارخًا :

- ليس أنا .. ليس أنا .. أنا لم أفعل شيئًا .

حَدَجَه الطيف بنظرة نارية مخيفة ، جعلت كلماته تختنق فى حلقه ، من شدة الرعب ، فى حين هتف الدكتور (عبد الحكيم) .

- رباه ! سينتقم منا حتمًا .

ولكن الطيف أدار عينيه مرة أخرى إلى (نور) و (أكرم) ، ثم أطلق زمجرة خافتة ، قبل أن يستدير إلى الجدار ، ويتجه نحوه مباشرة ، ثم يغوص فيه ، حتى اختفى تمامًا ..

ولثوان ، لم ينبس أحد الحاضرين ببنت شفة ، ثم لم يلبث (نور) أن قطع ذلك الصمت الرهيب ، وهو يغمغم فى توتر :

- لقد تجاوز هذا .

هتف الملازم (وائل) فى غضب :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنكما ستقدمان على حماقة تستفزه ، وتدفعه إلى الانتقام منا بوحشية أكثر .

صرخ الدكتور (أيمن) فى رعب :

- ليس أنا .. ليس أنا .

أما (أكرم) ، فقال فى صرامة :

- وما الفارق ؟!

صاح الملازم (وائل) فى حدة :

- لقد ثارت ثائرته .

قال (نور) :

- وهل كان سيعدل عن قتلنا ، لو لم نفعل ؟!

لوَّح الملازم (وائل) بذراعه ، هاتفًا :

- من يدرى ؟!

صاح به (نور) :

- أنت تغالط نفسك يا رجل .. أنت تعلم جيدًا أنه لم يكن ليترك أحدنا حيًّا ، ما دامت لديه فرصة لقتلنا جميعًا .

صرخ الملازم (وائل) ، وهو يضرب الجدار بقبضته فى غضب :

ـ لا يمكنك الجزم بهذا .

هتف (أكرم) :

ـ ولا يمكنك الجزم بالعكس أيضًا .

اضطرب صوت الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يقول :

ـ مهلاً يا سادة .. ليس من الـ ...

قاطعه الملازم (وائل) ، وهو يستدير إليه بمنتهى الحدة والغضب :

ـ اصمت أيها الشيخ .. لسنا بحاجة إلى نصائحك السخيفة الآن ..

بُهِتَ الرجل للعبارة ، فهتف ذاهلاً مستنكرًا :

ـ نصائحى السخيفة .

تراجع الملازم (وائل) ، حتى التصق بالجدار ، وهو يهتف فى حدة :

ـ فليحتفظ كلٌ بنصائحه لنفسه ، وليبتلع لسانه معها ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وانتفض جسده فى عنف ، فهتف (نور) فى ارتياع :

ـ يا إلهى !

قبل أن يندفع نحوه ، فوجئ الكل بيد الطيف نصف الشفافة تبرز من جبهته ، مع ضحكة وحشية ساخرة ..

وفى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها (نور) المكان ، انهار جسد الملازم (وائل) بين ذراعيه جثة هامدة ، وتراجعت يد الطيف لتغوص مرة أخرى فى الحائط ، وتختفى تمامًا ، تاركة خلفها رائحة نفاذة قوية ..

رائحة الدمار ..

والموت ..

★ ★ ★

« ماذا هناك يا (رمزى) ؟! أجب بالله عليك .. » .

صرخت (نشوى) بالعبارة فى ارتياع للمرة الثالثة ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، بعد أن كادت تنهار تمامًا ، لانقطاع صوت (رمزى) ، على الجانب الآخر ، ولكنها فوجئت به يسعل بشدة ، ثم يهتف بها :

ـ رباه ! (نشوى) .. اطمئنى يا حبيبتى .. أنا بخير .. لقد حاولت أن اطمئنك منذ أول مرة ، ولكن الكلمات احتبست فى حلقى ، من هول ما شاهدته حولى .

سألته (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ ما الذى شاهدته حولك يا (رمزى) ؟!

أجابها بصوت مفعم بالانفعال :

ـ مذبحة يا (سلوى) .. عشرات الجثث ، المتناثرة فى كل مكان .. يا إلهى ! من الواضح أن ما أصاب ذلك القاتل ، قد انتزع منه كل ذرة من العقل ، وأحاله إلى وحش مفترس ، لا يعرف العقل أو الرحمة .

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تسأله :

ـ و (نور) يا (رمزى) .. ماذا عن (نور) و (أكرم) ؟!

أجابها بنفس الانفعال :

ـ (نور) و (أكرم) فى قاعة التجارب الرئيسية ، فى الطابق الثالث .. ما زال أمامى طابقان ، قبل أن أصل إليهما .

هتفت به :

ـ أسرع إذن باللّه عليك يا (رمزى) .. أسرع .

صاح بها ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ إننى أنطلق بأقصى سرعتى يا (سلوى) .

ثم لهث صوته ، من فرط الانفعال ، وهو يتابع :

ـ ها هو ذا .. إننى أقف أمام مدخل الطابق الأوّل يا (سلوى) .

قالت فى لهفة متوترة :

ـ سنقوم بنفس الإجراءات يا (رمزى) .. أسرع باللّه عليك .

جذب الكرة المذهّبة من جانب الساعة ، وجذب معها ذلك السلك الطويل الرفيع ، وألصقها بأعلى الشق الخاص بالبطاقات الممغنطة ، قبل أن يهتف :

ـ هيا يا (سلوى) ..

شعر بساعته ترتجف فى شدة ، على عكس المرة الأولى ، والكرة الذهبية تتألّق فى بطء ..

ثم فجأة ، دوى ذلك الانفجار المكتوم ، فى قلب الرتاج الإليكترونى ، وانبعث منه دخان كثيف ، قبل أن ينفتح باب الطابق ..

ودون انتظار لما سيجده ، اندفع (رمزى) يعدو ، عبر الجثث المتناثرة فى الطابق الأوّل ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ يا إلهى ! يبدو أنه قد قتل الجميع بلا استثناء .

سرت فى جسده ارتجافة مذعورة ، فور نطقه للعبارة ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يفكر فيما يمكن أن يجده فى الطابق الثالث ..

وبكل قوته ، هزَّ رأسه ، لينفض عنها تلك الفكرة المخيفة ، وهو يتجه مباشرة نحو الرتاج الإليكترونى ، عند مدخل الطابق الثانى ، ويهتف عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ (سلوى) .. استعدى لتكرار الأمر .

أوصل الكرة المذهَّبة بشقّ الرتاج الإليكترونى ، وشعر بساعته ترتجف بعنف أكثر هذه المرة ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى سطح الساعة ، فأسرع ينتزعها من يده ، صائحًا :

ـ رباه ! (سلوى) .. الساعة تشتعل ..

أتاه صوتها ، وهى تهتف فى انفعال مذعور :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

كان يمسك طرف الساعة ، محاولاً إطفاء النيران المشتعلة فى سطحها ، بنفخات قوية ، ولكنها كانت تواصل الارتجاف فى عنف ، حتى بات من الصعب عليه الإمسك بها ، أو السيطرة عليها ..

ثم دوى ذلك الانفجار المكتوم ، فى قلب الرتاج الإليكترونى ..

وفى نفس اللحظة ، انفجرت ساعة الاتصال الخاص ، فألقاها من يده فى حدة ، وهو يصرخ فى يأس مرير :

ـ رباه ! لقد فقدنا وسيلة التعامل مع تلك الطوابق المعزولة .

مع قوله ، انفتحت أبواب الطابق الثانى ، لتكشف المكان أمامه ، و ...

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وتراجع بحركة حادة عنيفة ، جعلته يرتطم بإحدى الجثث الملقاة أرضًا ، فاختلّ توازنه ، وسقط أرضًا ..

ثم عادت عيناه تتسعان عن آخرهما ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة متر واحد ، كان يواجهه خطر رهيب ..

خطر الموت ..

بلا رحمة .

* * *

٧ ـ كل الخطر ..

عضَّ (أكرم) شفتيه في غضب ساخط ، وهو يتطلَّع إلى جثة الملازم (وائل) ، بكل الرعب والألم المحفور على ملامحها ، وهتف في عصبية :

ـ لا يمكن أن يستمر هذا .. لا يمكن أن يستمر هكذا .

سأله (نور) في توتر :

ـ ماذا تقترح ؟!

هتف في حنق :

ـ أن نحاول الخروج من هنا بأى ثمن .

هزَّ الدكتور (عبد الحكيم) رأسه في يأس ، قائلاً :

ـ لا يوجد سبيل واحد لهذا يا رجل ، سوى إصلاح نظام الأمن الإليكترونى التالف ، فبدونه ستظلَّ الطوابق معزولة ، والنوافذ مغلقة .

هتف (أكرم) في حنق :

ـ ويتساءلون : لماذا أبغض التكنولوجيا الحديثة ؟!

انعقد حاجبا (نور) في تفكير عميق ، وهو يتطلَّع إلى النوافذ المغلقة ، قبل أن يقول فجأة :

ـ تُرى ماذا استخدمتم ، لبناء هذا المبنى ؟!

تطلَّع إليه الدكتور (أيمن) بعينين زائغتين محمرتين ، من شدة الخوف ، في حين أجابه الدكتور (عبد الحكيم) في حيرة :

ـ ماذا تعنى أيها المقدَّم ؟!

دقَّ (نور) بقبضته ، على جدار القاعة ، المجاور للنافذة :

ـ أتساءل : مم تتكوَّن هذه الجدران ؟!

أجابه ، وحيرته تتضاعف :

ـ من الخرسانة سابقة التجهيز ، مثل كل المباني الحديثة .

ثم تساءل في توتر :

ـ ولكن لماذا تسأل ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ لمحت بين أجهزتكم جهازًا لأشعة الليزر .. فيم كنتم تنوون استخدامه بالضبط .

أجابه الرجل ، وقد سيطر عليه حذر عجيب ، ليس له ما يبرِّره :

ـ كان المفترض أن نستخدمه ؛ لقياس صلابة خلايا الرجل ، فى حالة نجاح التجربة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ طاقته متغيِّرة الشدة ، أليس كذلك ؟!

هتف (أكرم) ، وقد فهم ما يرمى إليه (نور) :

ـ سنستخدمه لثقب الجدار .. أليس كذلك يا (نور) ؟!

نقل الدكتور (عبد الحكيم) بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لست أظن طاقة الجهاز تكفى ، لصنع فجوة فى الجدار ، صالحة لعبور شخص ناضج .

أجابه (نور) :

ـ لن نحاول صنع فجوة ضخمة كهذه ، ولكننا سنصنع مجموعة من الثقوب المتراصة فى دائرة ، ثم نستخدم أحد الأجهزة الثقيلة هنا ، لهدم الجزء الذى يتوسَّطها ، فتتكوَّن عندئذ الفجوة المناسبة .

حدَّق فيه الدكتور (عبد الحكيم) بدهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف بحدة :

ـ أحد الأجهزة الثقيلة ؟! هل تعلم كم يساوى جهاز واحد ، من تلك الأجهزة الثقيلة ؟!

دفع (أكرم) جهاز الليزر نحو الجدار المجاور للنافذة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حقًّا ؟! وكم تساوى حياتنا يا رجل ؟!

امتقع وجه الدكتور (عبد الحكيم) ، وتراجع منكمشًا ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ نعم .. أنت على حق .

ثم لم يلبث أن اعتدل ، مستطردًا فى توتر :

ـ ولكن هذا الجدار لا يقود إلى شىء .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ الجدران الأخرى تقود إلى الطابق نفسه ، ومدخل الطابق يقود إلى طابق آخر مغلق ، ولكن هذا الجدار وحده يقود إلى الخارج .

هتف الدكتور (عبد الحكيم) :

ـ ولكننا فى الطابق الثالث .

ضغط (أكرم) زر جهاز الليزر ، فانطلقت الأشعة نحو الجدار ؛ لتصنع فيه فجوتها الأولى ، فى حين قال (نور) فى حزم :

ـ سنجد وسيلة للهبوط ، كما وجدنا وسيلة لثقب الجدار .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

ـ المهم أن ننجح فى هذا ، قبل أن يشنّ الطيف علينا هجومًا جديدًا .

اتسعت عينا الدكتور (أيمن) فى ارتياع ، وراح يتلفّت حوله فى ذعر وفزع ، ويحدّق فى كل جدار برعب ، فى حين عاد الدكتور (عبد الحكيم) ينكمش على نفسه ، متمتمًا :

ـ يارب العالمين .. انقذنا يارب العالمين ..

قالها ، وساد بعدها الصمت تمامًا ، إلا من ذلك الفحيح الخافت ، الذى يصدر عن جهاز أشعة الليزر ، الذى يصنع تلك الثقوب الصغيرة المتجاورة ، فى الجدار السميك .. ولكن الكل اشتركوا فى شعور واحد ..

فى قلقهم البالغ ، وعيونهم التى تدور على كل الجدران طوال الوقت ، خشية أن يبرز من أيها فجأة ذلك الطيف .. الطيف القاتل ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (رمزى) فى ذعر ، وهو يحدّق فى فوهات المدافع الليزرية والآلية ، المصوبة إليه فى حدة وتوتر ، وسمع أحد الرجال خلفها ، يصرخ فى انفعال صارم :

ـ من أنت ؟! أفصح عن هويتك فورًا ، وإلا ...

قاطعه (رمزى) ، وهو يمدّ يده إلى جيب سترته ، مجيبًا :

ـ أنا الدكتور (رمزى) .. من المخابرات العلمية المصرية .

صرخ فيه أحد الرجال ، فى توتر متحفز :

ـ حذار أن تفعل شيئًا .

أشار (رمزى) بيده اليسرى، قائلاً:

- إننى ألتقط هويتى الرسمية فحسب.

صاح به الرجل، وهو يلوّح بمدفعه فى وجهه، فى صرامة عصبية:

- استخدم سبّابتك وإبهامك فحسب، والتقطها فى بطء، وبدون أية حركات مباغتة.. هل تفهم ؟!

غمغم (رمزى):

- بالتأكيد.

التقط هويته الرسمية من جيبه، وناولها للرجل، الذى اختطفها فى لهفة، وألقى نظرة متوترة عليها، قبل أن يعيدها إليه، ثم يمد له يده، ليعاونه على النهوض، وهو يقول فى عصبية متوترة:

- معذرة يا رجل المخابرات، ولكنك لو واجهت ما واجهناه من أهوال، لفعلت أكثر من هذا.

- لقد فقدنا ثلاثة رجال حتى الآن، بسبب ...

قاطعه (رمزى) فى حزم:

- بسبب طيف قاتل.. أعلم هذا.

وأشار بدوره إلى الطابق الأوّل، مضيفًا:

- ومن الواضح، على الرغم من كل هذا، أنكم أكثر حظًا من زملائكم، فى الطوابق الأخرى.

مال الرجل، ليلقى نظرة على الطابق الأوّل، قبل أن يهتف:

- يا إلهى! يا إلهى!

ثم استطرد فى انفعال، وهو يتراجع داخل الطابق الثانى:

- لقد كنا نتصوّر أننا سننجو، لو نجحنا فى الخروج من هذا الطابق.

أجابه (رمزى)، وهو يدلف إلى المكان خلفه، ويلقى نظرة على عشرة رجال، يرتدون الزى الرسمى للقوات المسلحة:

- الطريق من هنا إلى الساحة مفتوح، ولكن هناك غلاف طاقة يحيط بالمكان، ويمنع خروج أو دخول أى مخلوق.

سأله أحدهم فى توتر:

- كيف دخلت أنت إذن ؟!

أجابه (رمزى) فى حزم:

- أنا أعمل فى المخابرات العلمية يا رجل .

لم يكن القول يعنى شيئًا ، من الناحية الفعلية ، إلا أنه بدا للرجل جوابًا منطقيًا ، حتى إن أحدهم لم يحاول التساؤل مرة أخرى ، وإنما هتف واحد منهم :

- ذلك الشىء يسعى لقتلنا جميعًا .. إنه يظهر ويختفى بلا مقدمات ، ويقتل واحدًا منا فى كل مرة .

صرخ آخر :

- إنه يستمتع برعبنا وآلامنا .

نقل (رمزى) بصره بينهم جميعًا ، قبل أن يقول فى حزم :

- ألديكم هنا ثياب مدنية ؟!

أجابه أحدهم فى حذر :

- بالتأكيد .. لماذا تسأل ؟!

قال (رمزى) فى حزم :

- لأن ذلك القاتل يبغض الأزياء والرتب الرسمية ، بسبب حادثة قلبت موازين الأمور فى طفولته ، وهو يتلذذ بقتلكم ، لمجرد أنكم ترتدون الأزياء الرسمية .

تبادل الرجل نظرة دهشة مذعورة ، ثم أسرع أحدهم ينزع سترته الرسمية ، وهو يهتف فى عصبية :

- فلتذهب كل الأزياء الرسمية إلى الجحيم إذن .

صاح به أكبرهم رتبة فى غضب :

- إياك أن تفعلها يا رجل .

ثم اندفع نحوه ، مستطردًا فى حدة :

- هذا الزى هو كرامتك ، وكرامة الوطن الذى تنتمى إليه ، ونزعك إياه مهانة لك ولوطنك .

هتف الرجل :

- حتى ولو كان سببًا فى قتلى ؟

عقد قائده كفيه خلف ظهره ، وهو يرفع قامته باعتداد ، قائلاً :

- كل الحروب سبب للقتل ، ولكن ما من جندى ينزع عنه زيه الرسمى ، عندما يخوضها .

امتقع وجه الرجل ، كما لو أن قائده قد صفعه على وجهه فى عنف ، وزاغت عيناه على نحو عجيب ، قبل أن يخفضهما فى خجل مرير ، ويعيد إغلاق سترته الرسمية ،

وهو يعضّ شفتيه ندمًا ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، فى وقفة عسكرية صارمة ، ورفع يده بالتحية العسكرية فى قوة ، فابتسم قائده ، وقال فى فخر :

- هكذا الرجال .

لم يكد ينطقها ، حتى انطلقت فى المكان ضحكة ساخرة مخيفة ، التفت إليها الكل بحركة حادة ، وارتفعت مع التفاتاتهم فوهات مدافعهم الآلية ، نحو الجدار الخلفى ، الذى وقف الطيف القاتل أمامه ، عاقدًا ساعديه أمام وجهه ، ومبتسمًا بسخرية شامتة شرسة ..

وبكل انفعالاتهم وتوتراتهم ، ضغط الرجال أزندة مدافعهم ..

وانطلقت الرصاصات ، مع خيوط الأشعة القاتلة ، نحو ذلك الطيف ، الذى لم يتحرّك من مكانه قيد أنملة ، وكل ما يُطلق نحوه يعبره ، ويرتطم بالجدار من خلفه ، وكأنما لا وجود له إطلاقًا ..

ثم حلّ هو عقدة ساعديه ، وأعادهما إلى جواره ، وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يزمجر ، ويتجه نحو الرجال العشرة ، الذين تراجعوا بدورهم ، فى توتر ملحوظ ، وكل

منهم يشعر بالعجز والخوف ، أمام تلك الظاهرة الرهيبة ، التى تعجز كل أسلحتهم عن التصدّى لها ..

وتقدَّم الطيف نحوهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى شفتيه ، ارتسمت ابتسامة ساخرة متفوّقة ، مخيفة ، واثقة ..

وهتف (رمزى) فجأة :

- لن يُجدى هذا .

أدار الطيف عينيه إليه بحركة حادة ، فتابع فى حزم :

- لن يعيد شقيقك ، الذى لقى مصرعه فى قسم الشرطة .

زمجر الطيف فى غضب وحشى ، فازدرد (رمزى) لعابه فى صعوبة ، وهو يستطرد فى توتر :

- التحقيقات كلها أثبتت أن ما حدث كان مجرَّد حادث عارض .. لم يسع أحدهم فى القسم لقتله .. بل ولم يقترب منه أحد ، بشهادة كل الشهود .

زمجر الطيف بغضب أكثر ، فصاح (رمزى) :

ـ مجردُ حادث عارض .

تحولَت زمجرة الطيف إلى صرخة وحشية هادرة هذه المرة ، وهو يندفع بكل قوته نحو (رمزى) ، مخترقًا كل الأجساد ، التى تعترض طريقه ..

وفى كل جسد اخترقه ، سرت قشعريرة باردة كالثلج ..

ومن كل جندى عبره ، انطلقت صرخة ذعر وألم ..

وتساقط الرجال من خلفه ..

ومع سقوطه ، ضغط أحدهم زناد مدفعه الآلى ، فانطلقت رصاصاته تصيب ثلاثة من رفاقه ، ثم ارتفعت إلى السقف ..

وفى اللحظة نفسها ، وثب الطيف ليخترق جسد (رمزى) ..

وتجمدَ (رمزى) فى مكانه ، وهو يحدِّق فى ذلك الطيف ، الذى يندفع نحوه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، والطيف القاتل يقترب منه بسرعة مخيفة ، وهو يطلق صرخة وحشية رهيبة ..

ويقترب ..

ويقترب ..

★ ★ ★

فجأة ، ارتفع رنين الهاتف ، فى قاعة التجارب الرئيسية ، فى المنطقة العلمية العسكرية ..

ومع رنينه ، انتفض جسد الدكتور (عبد الحكيم) فى عنف ، وانطلقت من خلفه شهقة مذعورة ، فى حين وثب الدكتور (أيمن) من مكانه ، صارخًا :

ـ رباه ! لقد أعادوا الاتصالات .

قفز (أكرم) ، يختطف سمَّاعة الهاتف فى لهفة ، صائحًا :

ـ (أكرم) من المخابرات العلمية المصرية .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت (سلوى) ، وهى تصرخ فى انفعال :

ـ (أكرم) ؟! أأنت حى يا (أكرم) ؟! أأنت و (نور) على قيد الحياة ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا (سلوى) .. هل استعدتم السيطرة على نظام الأمن ؟!

تجاهلت سؤاله تمامًا ، وهى تهتف :

ـ دعنى أتحدَّث إلى (نور) يا (أكرم) .. أرجوك .

بلغه (نور) فى تلك اللحظة ، فالتقط سمَّاعة الهاتف ، قائلاً :

ـ أنا هنا يا (سلوى) .

صرخت فى انفعال جارف :

ـ (نور) .. أنت حى يا (نور) ؟ أنت حى !! حمدًا للّه .. حمدًا للّه .

أجابها فى رصانة ، محاولاً كتم تفاعله مع انفعالها :

ـ نعم يا (سلوى) .. ما زلت على قيد الحياة ، ولكننا فقدنا أربعة رجال هنا حتى الآن .

أتاه صوتها ، ممتزجًا بدموعها ، وهى تقول :

ـ الطوابق الأخرى تكتظ بالقتلى أيضًا يا (نور) .. إنها مذبحة .. مذبحة بشعة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ الطوابق الأخرى ؟!

ثم سألها فى انفعال :

ـ وكيف علمت بما يوجد فى الطوابق الأخرى يا (سلوى) ؟!

أتاه صوت ابنته ، مفعمًا بكل انفعال الدنيا ، وهى تهتف :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا أبى .. حمدًا للّه .

كرَّر فى توتر :

ـ كيف علمتما بما يوجد فى الطوابق الأخرى ؟!

أجابته باكية :

ـ (رمزى) أخبرنا يا أبى .

هتف :

ـ (رمزى) ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ كان هناك سبيل لدخول شخص واحد .. (رمزى) تطوَّع لهذا ، وهو الذى أعاد التيار الكهربى ، ونجح بمعاونة أمى ، فى دخول المبنى ، وطابقيه الأوَّل والثانى ، ولكننا فقدنا الاتصال به بعدها ، ولا ندرى ماذا أصابه !

هتف (نور) فى انزعاج :

ـ (رمزى) هنا ؟!

ثم سأل ابنته فى سرعة :

ـ وماذا عن نظام الأمن الإليكترونى ؟! هل استعدتم السيطرة عليه ؟!

أجابته فى توتر :

ـ إننى أوشك على إصلاح نظام التشغيل ، وأمى تعد نسخة سليمة من نظام الأمن الإلكترونى للمبنى ، وسأدخلها بدلاً من النسخة التالفة ، ور انتهائى من إصلاح عطب نظام التشغيل .. هذا سيوفر أربع ساعات على الأقل .

سألها فى قلق :

ـ كم أمامك من وقت ؟!

راجعت بعض حساباتها فى سرعة ، قبل أن تجيب :

ـ ثلاث وعشرون دقيقة فحسب .

غمغم فى توتر :

ـ لا يمكنك أن تتصورَى كم يبدو هذا أشبه بالدهر ، فى وجود سفاح مجنون كهذا .

اندفعت (سلوى) تسأله فى لهفة :

ـ ماذا أصاب جهاز الاتصال الخاص ؟!

أجابها متوترًا :

ـ لست أدرى .. يبدو أنه قد ارتطم بالأرض ، عندما سقطت فى عنف ذات مرة ، فتوقَّف عن العمل تمامًا .

سألته فى اهتمام :

ـ هل انطفأت كل شاشاته ؟!

ألقى نظرة على ساعته ، مجيبًا :

ـ شاشة الاتصال ، وشاشة التفاعل انطفأتا ، أما تلك الشاشة الزرقاء الصغيرة ، فما زالت تعمل ، ولكن من الواضح أنها لا تخصّ نظام الاتصال .

قالت (سلوى) فى انفعال :

ـ نظام الاتصال تعطلّ يا (نور) ، وكذلك النظام الصوتى التفاعلى الذى ساعد (رمزى) على فتح طوابق المبنى الآخر .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى حزم :

ـ ولكن نظام الطوارئ ما زال يعمل بكفاءة .

برقت عيناه ، وهو يسألها فى لهفة :

ـ هل تعتقدين هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ دون شك .. لا تنس أننى مخترعة هذا الجهاز ، وأعرف كل أسراره وخباياه .

هتف فى حزم :

ـ عظيم .. سنبذل قصارى جهدنا إذن ، للاتصال بزميلنا (رمزى) وسنعاود الاتصال بكما بعد قليل .

هتفت (سلوى) :

ـ (نور) .. احترس لنفسك .. أرجوك .

غمغم ، قبل أن ينهى الاتصال :

ـ سأحاول .

ثم أعاد سمّاعة الهاتف ، والتفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ يبدو أننا سنجرى اختبارًا جديدًا .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل (رمزى) هنا فعلاً ؟!

غمغم (نور) ، وهو يغادر القاعة :

ـ نعم .. ويبدو أنه يحتاج إلى وجودنا إلى جواره .

هتف به الدكتور (عبد الحكيم) فى ذعر :

ـ إلى أين ؟!

أما الدكتور (أيمن) ، فقد اندفع خلفه ، إلى الممر الخارجى ، فلحق بهما (أكرم) ، وهو يسأل (نور) :

ـ ماذا سنفعل بالضبط ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أحضر جهاز الليزر .

غمغم (أكرم) ، وهو يتساءل عما ينوى (نور) فعله :

ـ لست أعتقد أن ما تبقى به من طاقة يكفى لـ ...

قاطعه (نور) ، وهو يتجه نحو مدخل الطابق :

ـ سيكفى بإذن الله .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة وتردُّد ، فهتف (نور) ، وهو ينزع ساعته عن معصمه :

ـ هيا يا رجل .. لكل دقيقة ثمنها .

تراجع (أكرم) ، عائدًا إلى القاعة ، ليحضر جهاز الليزر ، بما تبقى من طاقته ، وارتطم فى أثناء عودته بالدكتور (عبد الحكيم) ، الذى يندفع خارج القاعة ، هاتفًا فى خوف :

ـ هل ستتركوننى وحدى ؟!

أجابه (نور) ، وهو يضغط باطن ساعته فى الجدار الملاصق لحافة مدخل الطابق تمامًا :

ـ كلنا سنعود إلى القاعة يا دكتور .

عاد (أكرم) ، وهو يدفع أمامه جهاز الليزر ، فضغط (نور) زرًا فى جانب الساعة ، ثم تركها معلّقة بالجدار ، وعاد إلى حيث يستقرّ الجهاز ، و (أكرم) يسأله فى توتر عصبى :

ـ ماذا ستفعل بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يقف خلف الجهاز فى تأهُّب :

ـ جهاز الطوارئ فى الساعة ما زال يعمل ، ولقد أعدّته (سلوى) ، بحيث يعمل كدائرة مضخِّمة للطاقة ، أيًا كان نوعها ، وهذا يعنى أن طاقة شعاع ضعيف من الليزر ، يمكنها أن تتحوّل ، بوساطة وحدة التضخيم ، إلى طاقة

هائلة ، تكفى لصنع انفجار محدود .. انفجار لن يكفى للإطاحة بحاجز الأمن على المدخل ، ولكنه قد يكفى لصنع فجوة فى الجدار ، تكفى لخروجنا من هنا .

قال الدكتور (عبد الحكيم) فى عصبية :

ـ وما فائدة الخروج من الطابق ، ما دمنا محاصرين بغلاف الطاقة ، الذى لا يمكننا نحن ، أو ذلك الطيف ، اختراقه ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يصوِّب الجهاز إلى ساعته ، الملصقة بالجدار :

ـ زميلنا بحاجة إلينا هنا يا دكتور .

هتف الرجل فى حدة :

ـ وهل ستفعل كل هذا ، من أجل شخص نجهل مصيره ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ذلك الشخص كان يجهل مصيرنا أيضًا يا رجل ، بعد أن تحطَّم جهاز الاتصال المحدود ، وكان يقف على الجانب الآمن من غلاف الطاقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد جازف بحياته ، واخترق غلاف الطاقة ؛ ليعيد التيار الكهربى ، ويمنحنا فرصة جديدة للحياة !

امتقع وجه الدكتور (عبد الحكيم) ، وهمهم بعبارات غير مفهومة ، فأشار إليه (نور) ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ هيا .. فليعد الكل إلى القاعة ؛ فلو جاء الانفجار عنيفًا ، سيطلق موجة من التضاغط ، ربما تطيح بكل من فى الممر .

اتسعت عينا الدكتور (أيمن) ، وتراجع مذعورًا إلى القاعة ، وتبعه الدكتور (عبد الحكيم) ، فى حين ربَّت (أكرم) على كتف (نور) ، وقال فى حزم :

ـ سأبقى إلى جوارك .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ خطأ يا صديقى .. خطأ .. ربما كان (رمزى) فى خطر داهم ، ويحتاج إلى أحدنا على الأقل ؛ لذا فليس من المنطقى أن نجازف معًا ، فى موقف قد يطيح بكلينا .. لا بد أن يتبقَّى أحدنا على الأقل .

قال (أكرم) :

ـ فليكن .. أنت القائد .. وأنت أكثرنا أهمية .. عد إلى القاعة ، وسأطلق أشعة الليزر بنفسى .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ عد أنت إلى القاعة يا (أكرم) .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هذا أمر .

تطلَّع إليه (أكرم) لحظة فى صمت ، ثم انفرجت شفتاه ، وكأنما يهمَّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن أطبقهما مرة أخرى ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، قائلاً :

ـ فليكن .

عاد بخطوات متردِّدة إلى القاعة ، وتوقَّف عند بابها ، يتطلَّع إلى (نور) لحظة ، ثم اندفع داخلها ، وهو يغمغم بعبارة خافتة ساخطة ..

والتقط (نور) نفسًا عميقًا ، وأغلق عينيه لحظة فى صمت ، قبل أن يفتحهما ، قائلاً فى حزم :

ـ على بركة الله .

ثم ضغط زر الجهاز ..

وانطلق شعاع الليزر ..

ولوهلة ، بدا وكأن شيئًا لن يحدث ..

ثم فجأة توهَّجت الساعة فى قوة ، وانطلق منها فحيح قوى ، و ..

ودوى الانفجار ..

ومع دويه ، شعر (نور) بقوة هائلة تضربه فى صدره ، وتدفعه أمامها عبر الممر الطويل ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، ثم يسقط على وجهه ..

وعندما رفع عينيه ، وقع بصره على جهاز الليزر الثقيل ، والموجة التضاغطية تدفعه أمامها نحوه ، على نحو يوحى بأنه لن يرتطم به فحسب ، وإنما سيسحقه ..

سيسحقه سحقًا .

★ ★ ★



وعندما رفع عينيه ، وقع بصره على جهاز الليزر الثقيل ، والموجة التضاغطية تدفعه أمامها نحوه ..

٨ـ الماء والنار ..

كل غضب الدنيا ، كان يطلّ من عينى ذلك الطيف القاتل ، وهو ينقضَ على (رمزى) ..

كل وحشية الدنيا انطلقت من بين شفتيه ، فى صرخة هائلة ، تحمل شراسته ، وثورته ، ورغبته فى التدمير والانتقام ..

وتراجع (رمزى) فى ذعر ، دون أدنى أمل فى النجاة ، وعقله يسترجع ، فى جزء من الثانية ، مشهد عشرات القتلى ، الذين رآهم ، فى الطوابق التى مرَّ بها ..

وفى نفس اللحظة ، سقط أحد الجنود ، الذين عبرهم الطيف فى اندفاعته ، وانطلقت رصاصات مدفعه ، وأصابت بعض زملائه ، ثم انطلقت نحو السقف ..

وأصابت جهاز إنذار الحريق ..

وهنا ، انطلقت رشاشات الماء فجأة ، تغمر المكان ، وكل الأجساد ، و ...

والطيف أيضًا ..

وعلى مسافة سنتيمترات من (رمزى) ، توقف الطيف فجأة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتسم فيهما مزيج من الألم والذعر ، اللذين طالما أذاقهما لضحاياه ..

ومن كل مكان فى جسده ، تصاعدت شرارات كهربية رفيعة صغيرة ، تناثرت على الجسد نصف الشفاف ، من كل موضع تتساقط عليه المياه ..

وأطلق الطيف صرخة أخرى ..

صرخة مفعمة بالألم هذه المرة ، وهو يتراجع ، ويدور حول نفسه ، ويضرب الهواء بذراعيه فى عنف ..

وأمام العيون الذاهلة ، راح جسده يتكوَّن ، كما لو أن خلاياه تستعيد تماسكها مرة أخرى ..

ولوهلة ، لم يتردَّد فى المكان سوى صرخات الألم والذعر ، التى يطلقها الطيف ، قبل أن يعتدل قائد الجنود فجأة ، صائحًا :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

استدار إليه الطيف بحركة حادة ، وصرخ فى غضب ، امتزج بآلامه وذعره ، ثم انحنى فجأة ، ودفع (رمزى) بعيدًا عن طريقه ، وهو يعدو خارج المكان ..

وصرخ القائد فى جنوده :

- اطلقوا النار ..

انطلقت رصاصاتهم فى أمل ، تلاحق الطيف ، الذى انطلقت منه صرخات أخرى رهيبة ، وهو يقفز خارج المكان ، ويعدو عبر الممر الخارجى ..

ومع الأمل والحماس ، اندفع الرجال خلفه ، وهم يواصلون إطلاق النار بلا هوادة ، وانطلقت صرخة أخرى من الطيف ، ثم اندفع خارج المكان ..

وعندما وصل الرجال إلى حيث اندفع ، كان قد اختفى .. تمامًا ..

ولوهلة ، توقَّف الرجال ، يديرون أعينهم فى المكان ، فى حذر متوتر ، قبل أن يهتف قائدهم فى حزم :

- إنها فرصتكم يا رجال .. انتشروا فى المكان ، وابحثوا عنه .

وفى نفس الوقت ، الذى بدأ فيه الجنود بحثهم عن الطيف ، فى الطوابق السفلى ، نهض (رمزى) واقفًا ، من سقطته التى دفعه إليها الطيف ، ووقف تحت الماء المتناثر

من جهاز الإطفاء الآلى ، ورفع نظره يتطلَّع إلى مصدره ، قبل أن يغمغم :

- الماء .. يا إلهى ! الماء هو أقوى سلاح يواجهه .

مع قوله ، دوى انفجار عنيف ، فى الجدار المجاور لمدخل الطابق الثالث ، فهتف فى ارتياع :

- يا إلهى ! (نور) .

انطلق يعدو نحو فجوة فى الجدار ، صنعها الانفجار ، ودفع جسده عبرها فى سرعة ، ثم وقف يحدِّق فى (نور) ، الذى يقف لاهثًا ، ملتصقًا بالجدار ، وعلى قيد سنتيمترات قليلة منه ، كان جهاز الليزر الضخم مرتطمًا بالجدار ، وقد تهشَّم أنبوب الطاقة به ، وتناثرت شظاياه حوله ..

وللحظة ، ظلَّ (نور) و (رمزى) يحدقان فى بعضهما ، حتى اندفع (أكرم) خارج قاعة التجارب ، هاتفًا :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) !

عندئذ انتفض (رمزى) ، وكأنما يفيق من حلم طويل ، وهتف ، وهو يندفع نحو (نور) و (أكرم) :

ـ (نور) .. (أكرم) .. حمدًا للَه على سلامتكما .

تصافح الثلاثة فى حرارة ، وهتف (أكرم) ، وهو يربِّت على كتف (رمزى) فى سعادة :

ـ حمدًا للَه على سلامتك أيضًا يا (رمزى) .. لقد فعلنا هذا ، حتى نلحق بك .

ثم أشار إلى الجهاز المحطَّم ، مستطردًا :

ـ ولقد كدت أصاب بأزمة قلبية ، عندما رأيت هذا الجهاز الضخم يندفع نحو (نور) .

زفر (نور) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لقد وثبت متفاديًا إياه ، فى اللحظة الأخيرة .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله فى اهتمام قلق :

ـ ولكن لماذا أنت مبتل هكذا ؟!

أجابه (رمزى) فى لهفة :

ـ لن تصدَق ما حدث يا (نور) .

وفى سرعة وانفعال ، روى له ما حدث منذ قليل ، فهتف (أكرم) مبهورًا :

ـ يا إلهى ! الماء يهزمه ؟! فقط الماء ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ أمر طبيعى ، كان ينبغى أن ننتبه إليه منذ البداية يا (أكرم) ، بقليل من الاستدلال العلمى المنطقى ، فالعامل الذى أضيف إلى التجربة ، وغيَّر كل الموازين ، هو الكهرباء .. وطبقًا لما شاهدناه جميعًا ، فجسد ذلك الطيف القاتل يحوى الآن ما قيمته نصف مليون واط ، وملامسة الماء لجسده تطلق هذه الطاقة ، ومن الواضح أن هذا يصيبه بالألم .

قال (رمزى) فى حماس :

ـ ويعيد جسده إلى الظهور أيضًا .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط ، ولهذا فرَّ من الجنود ، عندما أطلقوا عليه النار وهو مبتل ، على عكس ما فعل ، عندما أطلقوا عليه النار فى البداية .

تساءل (رمزى) :

ـ ولكن لماذا لم تخترق قطرات الماء جسده ، كما فعلت الرصاصات السابقة ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ ربما لأن تفاعلات جسده تتعارض مع هذا ، على نحو أو آخر .

غمغم (أكرم) :

ـ هذا واضح .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أهم ما فى الأمر هو أننا قد عرفنا نقطة ضعفه .

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ والأكثر أهمية أن السلاح منتشر ، فى كل مكان بالمبنى .

تطلَّع إليه (رمزى) و (أكرم) لحظة فى حيرة ، ثم رفع الأوَّل رأسه دفعة واحدة إلى السقف ، وتطلَّع إلى جهاز إنذار وإطفاء الحريق ، هاتفًا فى حماس :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. قدَّاحة صغيرة يمكنها إشعال الجهاز ، لتغمر المياه كل الممرات والقاعات والطوابق والحجرات دفعة واحدة ، وفقًا لنظام الإنقاذ الآلى .

هتف (نور) :

ـ بالضبط .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتساءل :

ـ السؤال هو : من أين نحصل على قداحة ؟! إننا جميعًا لا ندخن ، والتدخين محظور فى المبنى كله .

قال (نور) فى حزم :

ـ يكفينا الحصول على مسدس ليزر واحد ، من أحد رجال الأمن الصرعى ، وسنستخدمه لإشعال النيران ، فى قطعة من القماش ، يمكننا بوساطتها تشغيل الجهاز .

هتف (أكرم) :

ـ عظيم .. سأحضر واحدًا .

فى نفس اللحظة ، التى اندفع فيها عبر الفجوة ، إلى الطابق الثانى ، بحثًا عن أحد مسدسات الليزر ، برز الدكتور (عبد الحكيم) من قاعة التجارب ، متسائلاً بصوت مرتجف :

ـ هل .. هل انتهى الأمر ؟!

أشار (نور) بيده ، دون أن يلتفت إليه ، قائلاً :

ـ الطريق من هنا إلى ساحة المبنى مفتوح أمامك .

قال الرجل فى يأس مرير :

ـ وما الفائدة ؟

واندفع الدكتور (أيمن) خارج المكان ، هاتفًا فى عصبية بالغة :

ـ لا فائدة ، ما دمتم تصرّون على سجننا جميعًا هنا .. أزيلوا غلاف الطاقة ، وسينتهى كل شىء .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ لو أننا أزلنا غلاف الطاقة الآن ، فلن ينتهى كل شىء .. بل سيبدأ ؛ فذلك القاتل سينطلق خارج المكان ، ليعيث الفساد ، ويزهق الأرواح بلا رحمة ، فى المدينة كلها .. بل ولن يمنعه شىء ما من الانطلاق فى العالم أجمع .

صرخ :

ستجدون وسيلة لكبح جماحه حتمًا ، لو خرجنا من هنا .

غمغم (رمزى) فى دهشة :

ـ عجبًا ! إن كل ما يسعى إليه هو أن يخرج من هنا حيًا ، حتى ولو دفع العالم كله ثمن هذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى برز (أكرم) ، من تلك الفجوة فى الجدار ، وهو يقول فى اضطراب واضح :

ـ (نور) .. لقد حدث أمر عجيب هنا ، لست أدرى ما الذى يعنيه بالضبط ، فى هذه المرحلة !

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يندفع نحو الفجوة ، فى حين راح الدكتور (أيمن) يهتف فى ذعر لا محدود :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

تجاهله (رمزى) تمامًا ، وهو يعدو بدوره نحو الفجوة ، وتجاوزها خلف (نور) ، ولم يكد يصل إلى الطابق الثانى ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى سقف الطّابق ..

فما حدث كان يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

وبمنتهى العنف !

★ ★ ★

تحرَّك الجنود فى حذر ، فى الطـابق الأوَّل من المبنـى ، وأصابعهم متحفزة على أزنـدة مدافعهم الآليـة والليزريـة ، بحثًا عن ذلك الطيـف ، الذى لاحـت لهـم أخـيرًا فرصـة للقضاء عليه ..

وفـى حزم لا يخلو من التوتر ، أشار قـائدهم بيـده ، قائلاً :

ـ انتشروا فى المكان كله ، وابحثوا فى كل شبر .. من الواضح أنه قد فقد قدرتـه علـى اختراق الجدران ، وربما نظفر به هنا .

كان التوتر يسرى فى أجسادهم ، بأضعاف مـا يبرز فى أصواتهم ، وهم يتحركون فى بطء حذر ، وعقولهم عـاجزة عن تصديق أن خصمهم الرهيب قد فقد كل ما يتميَّز به من قدرات مدهشة ، تفوق قدرات البشر ، و ...

وفجأة ، وبينما كان أحدهم يسير فى حذر ، اندفع الطيف فجأة مـن الجدار القريب منـه ، ودفـع ذراعـه فـى رأسـه ، فـانتفض جسد الجندى فى عنـف ، وانطلقـت مـن حلقـه صرخـة ألـم ورعب ، امتزجت بضحكـة الطيـف الوحشـية الساخرة ..

وبمنتهى التوتر والسرعة ، استدار إليه الجنود ..

وانطلقت رصاصاتهم بمنتهى العنف ..

ولكن الطيف لم يتحرَّك من مكانه ..

ولم تنقطع ضحكاته الساخرة الوحشية ..

وبوجه وصوت شاحبين ، هتف قائد الرجال :

ـ يا إلهى ! لقد جفَّ جسده ، واستعاد قدرته !

كانت الرصاصات وخيوط الأشعة تخترق جسد الطيف ، وتعبره دون أدنى مقاومة ، فى حين اندفـع هو مـن مكانـه بغتة ، وراح يخترق أجساد الجنود ، ويستقرَّ فى كل جسد لحظـة واحـدة ، تكفى لتمزيقـه إربًا ، قبل أن يتجاوزه إلـى جسد ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وسـاد اضطـراب عنيـف ، بين الجنـود الثلاثـة ، الذيـن تبقوا من المعركة ، وهم يـتراجعون بـلا نظـام ، ويطلقـون النـار عشوائيًا ، فى كل اتجاه ، وقائدهم يصرخ :

ـ تراجعوا بنظام .. تراجعوا كما علمتكم .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة غاضبة ، وهو يرفع فوهة مدفعه إلى السقف ، قائلاً :

ـ فليكن أيها الوغد .. سأمنحك جرعة إضافية من العقار القاتل .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان يطلق رصاصات مدفعه نحو جهاز إطفاء الحريق الآلى فى السقف ، لينسفه فى عنف ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

فقد تساقطت بضع قطرات من الماء ، من الجهاز ، المحطَّم ، ثم انتهى كل شىء ..

وأطلق الطيف ضحكة ساخرة ظافرة عالية ..

ضحكة امتقع معها وجه القائد ، وقد أدرك على الفور ما يعنيه هذا ..

الطيف لم يضع لحظة واحدة ..

لقد هبط إلى قبو المبنى ، وأغلق مصدر المياه الرئيسى ..

وهزم نقطة ضعفه الوحيدة ..

وبزمجرة وحشية مخيفة ، انقضَّ الطيف على القائد ، الذى صرخ ، وهو يطلق رصاصاته نحوه :

ـ أيها الوغد .

وفى الخارج ، ارتجفت أجساد الجنود الثلاثة ، الذين نجوا من المذبحة ، مع تلك الصرخة الرهيبة ، المفعمة بالألم والرعب ، والتى انطلقت من حلق قائدهم ، فى الطابق الأوَّل من المبنى ، قبل أن يسود صمت رهيب ..

وثقيل ..

ومخيف ..

★ ★ ★

« أين يوجد مصدر الماء الرئيسى بالمبنى ؟! »

هتف (نور) بالسؤال ، عبر أسلاك الهاتف ، فى توتر بالغ ، قبل أن يضيف فى عصبية :

من الواضح أن ذلك الطيف القاتل قد أوقف مصدر المياه ، عندما أدرك أنها نقطة ضعفه الرئيسية .

أجابته (نشوى) ، وهى تراجع خرائط المبنى ، على شاشة الكمبيوتر :

ـ المصدر الرئيسى يوجد فى القبو .. إلى أقصى اليسار .. فى نهاية الركن .

سألها فى اهتمام متوتر :

ـ وهل القبو معزول أيضًا ؟!

أجابته فى ضيق :

ـ نعم للأسف يا أبى ؛ فبالنسبة لنظام الأمن ، يعتبر القبو أحد طوابق المبنى ، التى يتحتم عزلها .

ثم أضافت فى انفعال :

ـ ولكننى سأستعيد السيطرة على نظام الأمن بإذن الله ، خلال أربع عشرة دقيقة على الأكثر .

هتفت (سلوى) :

ـ وأنا استطعت التوصُّل إلى مفاتيح شفرة غلاف الطاقة يا (نور) ، ويمكننى إزالته فى أية لحظة .

أجابها فى حزم :

ـ ليس قبل أن نقضى عليه .

صرخ الدكتور (أيمن) :

ـ لماذا ؟! لماذا تضيع فرصتنا فى النجاة ؟!

أمسك (أكرم) رقبته فى غلظة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما رأيك لو دققت عنقك الآن ، وأنهيت المشكلة من جذورها ؟!

صرخ الدكتور (أيمن) :

ـ لا .. ابتعد عنى .. اتركنى لحالى .

تجاهلهما (نور) تمامًا ، وهو يقول عبر الهاتف :

ـ ألا توجد وسيلة لاقتحام القبو ، وإعادة المياه إلى المبنى ؟!

أجابته (سلوى) فى مرارة :

ـ بعد أن فقدتم آلات الاتصال والطوارئ ، ليست لدينا وسيلة بعينها يا (نور) .

ثم استدركت فى سرعة وحزم :

ـ ولكننا سنبذل قصارى جهدنا ؛ للبحث عن وسيلة ما .

أدار (نور) بصره فى وجوه رفيقيه ، والعالمين ، والجنود الثلاثة ، الذين حملت وجوههم كل الحيرة والخوف والتوتر ، وهو يغمغم :

ـ الوقت يا (سلوى) .. المهم هو الوقت .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وهو يعتدل فى وقفته ، ويشدّ قامته ، قائلاً :

ـ وفقًا للمعلومات ، أمامنا أربعِ عشرة دقيقة ، قبل أن نجد سبيلنا إلى القبو ، ونعيد ضخ المياه فى المبنى كله .

قال الدكتور (عبد الحكيم) فى اضطراب شديد :

ـ وهل تعتقد أنه سيمنحنا فرصة لهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ينبغى ألا نمنحه نحن سبيلاً للظفر بنا .

هتف الرجل فى حدة :

ـ وكيف ؟! هل تملك سلاحًا لمواجهته ؟!

انعقد حاجبا (نور) بضع لحظات ، فى توتر بالغ ، قبل أن تتألّق عيناه بغتة ، وهو يهتف فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم التفت إلى أحد الجنود ، متسائلاً :

ـ من أين تحصلون على مياه الشرب هنا ؟!

أجابه أحدهم فى سرعة :

ـ من المبردات المنتشرة فى الطوابق .

سأله (نور) فى اهتمام ولهفة :

ـ وما مصدر المياه لهذه المبردات ؟! المواسير الرئيسية ، أم الزجاجات الكبيرة ؟!

هتف (رمزى) فى حماس :

ـ آه .. فهمت .

وقال (أكرم) فى انفعال :

ـ أنا أيضًا فهمت .. هل ستستخدم مياه الشرب لمهاجمته ؟!

سأل (نور) الرجال ، فى اهتمام أكثر :

ـ مواسير رئيسية أم زجاجات كبيرة ؟!

أشار أحدهم بيديه ، مجيبًا :

- إنها زجاجات كبيرة ، فى حجم البراميل ، يتم تركيبها مقلوبة ، فى المبردات ، و ...

قاطعه (نور) ، هاتفًا :

- عظيم .

ثم استدار إلى أكرم ، قائلاً فى حزم :

- (أكرم) .. ابحث عن أحد المكاتب الإدارية فى المبنى ، وأحضر منه بعض الأكياس البلاستيكية ، التى سنملؤها بالماء ، ونصنع منها قنابل مائية ، لمهاجمة ذلك الوغد عند اللزوم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع الجميع صوت زجاج يتهشّم فى عنف ، فى ممر الطابق ، مع صوت مياه غزيرة تنسكب ، فهتف (نور) :

- رباه ! ذلك الوغد كان ينصت لأحاديثنا .

اندفع الكل إلى مصدر الصوت ، ورأوا زجاجة المبرِّد الكبيرة مهشمة أرضًا ، وكل ما بها من ماء ينسكب أرضًا ، فهتف (أكرم) :

- يا للوغد !

مع آخر حروف هتافه ، تناهى إلى مسامعهم دوى تحطم زجاجة أخرى ، فى طابق آخر ، فاستدار (نور) إلى أحد الجنود ، وأمسك كتفيه فى قوة ، صائحًا :

- أين توجد المبردات الأخرى ؟!

أجابه الجندى ، فى توتر بالغ :

- يوجد واحد فى كل طابق ، وثلاثة فى الساحتين ، الأمامية والخلفية .

اندفع (نور) ، نحو مدخل الطابق الأرضى ، وهو يهتف بـ (أكرم) :

- أحضر الأكياس .

تبعه اثنان من الجنود بحركة آلية ، فصرخ الدكتور (أيمن) فى رعب :

- هل ستتركوننا وحدنا ؟!

غمغم الجندى الثالث ، وهو يمسك مدفعه الآلى فى قوة :

- أنا سأبقى معكم يا سيدى .

صاح به الدكتور (عبد الحكيم) فى عصبية :

- وكيف سيمكنك حمايتنا ؟!

غمغم الجندى فى توتر ، وهو يتلفَّت حوله :

- لست أدرى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) يعدو مع الجنديين ، نحو الساحة الأمامية للمبنى ، وما إن بلغها ثلاثتهم حتى صاح (نور) ، وهو يشير إلى أحد المبردات الثلاثة ، الذى يبدو من بعيد :

- أسرعا لإحضار تلك الزجاجة الكبيرة .

قالها ، واندفع نحو المبرِّد الثانى ..

وبكل لهفتهما وسرعتهما ، اندفع الجنديان نحو المبرِّد ، وهما يتلفتان حولهما فى عصبية ، وقبل أن يبلغاه بمتر واحد ، برز ذلك الطيف من الجدار المجاور بغتة ، وأطلق صرخة غاضبة شرسة ، قبل أن يلطم الزجاجة الكبيرة بيده ، فيلقى بها لتتهشَّم أرضًا فى عنف ، ثم يستدير لمواجهة الجنديين ، اللذين تراجعا فى ذعر ، وهما يطلقان النار عليه فى عنف ..

وعلى الرغم من أن دوى الرصاصات قد بلغ مسامع (نور) ، إلا أنه لم يلتفت إليه لحظة واحدة ، وهو يجذب

الزجاجة الكبيرة من فوق المبرِّد ، ثم يعدِّل من وضعها فى سرعة ، قبل أن ينسكب ، ما بها من ماء ..

ومن بعيد ، سمع صرخة ألم مذعورة ، تمتزج بأخرى هلعة ، وبدوى رصاصات عنيفة ، فغمغم فى مرارة :

- يا للوغد !

مع آخر حروف كلمته ، سمع صرخة ألم أخرى ، توقَّف بعدها دوى الرصاصات تمامًا ، فعضَّ شفتيه فى مرارة ، وهو يحمل الزجاجة الكبيرة الثقيلة ، ويعدو بها عائدًا إلى المبنى ..

وبكل غضبه وسرعته ، اندفع ذلك الطيف القاتل نحوه ، واخترق كل ما اعترضه من جدران ؛ ليختصر المسافة ، ويلتقى به ، قبل أن يبلغ الطابق الأرضى ..

وفجأة ، وجده (نور) أمامه ، يعترض طريقه فى شراسة ، وهو يزمجر فى وحشية مخيفة ..

وتوقَّف (نور) ، وهو يلهث فى قوة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، والطيف يطلق زمجرة أخرى رهيبة ، و ...

« أعطه الزجاجة يا (نور) .. »

انطلقت صيحة (أكرم) ، وهو يعدو نحو (نور) ، والطيف ، حاملاً مسدسًا ، التقطه من أحد الضحايا ، من رجال الأمن ..

وفهم (نور) ما يعنيه هذا على الفور ..

وبكل قوته ، ألقى زجاجة المياه نحو الطيف ..

وفى اللحظة نفسها ، أطلق (أكرم) رصاصات مسدسه ..

أطلقها لينسف الزجاجة فى الهواء ، قبل أن تبلغ هدفها ، فتفجَّرت منها المياه فى عنف ، مع شظايا الزجاج ، لتغمر جسد الطيف ..

وانطلقت صرخات الطيف المذعورة ، المفعمة بالألم ، مع الشرارات التى تفجَّرت فى كل مكان من جسده ، وراح يدور حول نفسه ، ويضرب الهواء بذراعيه فى عنف ..

ولم يتوقَّف (أكرم) عن إطلاق النار ، وهو يواصل عدوه نحوهما ..

وفى هذه المرة ، انطلقت رصاصاته كلها نحو الطيف ، الذى صرخ فى ألم ، وتقافز جسده فى عنف ، حتى ارتطم بالجدار ، ثم سقط أرضًا ..

وأطلق (أكرم) رصاصاته الأخيرة ، وهو يصرخ :

- هيا .. مت أيها الوغد .. مت ..

ضرب الطيف الهواء بذراعيه مرة أخرى ، قبل أن يتراخى جسده تمامًا ، وتتلاشى شفافيته رويدًا رويدًا ..

وخفض (أكرم) مسدسه ، وهو يلهث فى عنف ، وكأنما بذل جهدًا يفوق قدرة البشر ، وراح مع (نور) يحدقان فى القاتل ، الذى استقرّ على الأرض مفتوح العينين ، والدماء تنزف من مواضع الرصاصات فى جسده ، وتمتزج على نحو عجيب بحلة الإعدام التى يرتديها ..

ولثوان ، لم ينبس أيهما ببنت شفة ، وهما يحدقان فى المشهد الرهيب ، وكأنما لا يصدقان أنهما قد قضيا على ذلك الطيف ، الذى ارتكب أبشع مذبحة فى تاريخ (مصر) الحديثة ..

ثم برز (رمزى) فجأة ، وهتف فى فرحة غامرة :

- هل قضيتما عليه ؟!

دفع هتافه الدكتور (عبد الحكيم) ، والدكتور (أيمن) ، والحارس المتبقى إلى اللحاق بهما أيضًا ، واتسعت عينا الدكتور (أيمن) عن آخرهما ، وهو يحدق فى جسد القاتل ، قبل أن يطلق ضحكات هستيرية عالية ، صارخًا :

- لقد نجونا .. لقد نجونا .

وأغلق الدكتور (عبد الحكيم) عينيه ، مغمغمًا :

ـ حمدًا للّه .. حمدًا للّه .

أما (أكرم) ، فهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لم أتصوَّر أننا سنفعلها قط !

غمغم (نور) :

ـ لكل شىء بداية يا صديقى .

تنهَّد (رمزى) فى ارتياح ، قائلاً :

ـ ونهاية .

لم يكد ينطقها ، حتى صرخ الدكتور (أيمن) فى رعب ، وهو يشير إلى جسد القاتل المسجى أرضًا :

ـ ما هذا ؟! ما هذا ؟!

التفت الكل فى سرعة إلى حيث يشير ، وانتفضت أجسادهم كلها بمنتهى العنف ..

فأمام عيونهم الذاهلة ، كانت تحدث ظاهرة عجيبة ..

ورهيبة ..

للغاية ..

لقد تراجعت الدماء ، عائدة إلى ثقوب الرصاصات ، التى التأمت فى سرعة مدهشة ، كما لو أنها مشهد فى فيلم يدار عكسيًا ..

ثم راح جسد القاتل يستعيد شفافيته ..

وبكل ذهوله وتوتره ، هتف (أكرم) :

ـ يا للسخافة !

ثم وثب نحو جثة رجل أمن آخر ، واختطف مدفعه الآلى ، ثم استدار فى سرعة وغضب ، يصوِّبه نحو القاتل ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فعندما استدار ، ارتطمت عيناه بذلك الطيف ، وهو ينهض فى بطء ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف رهيب ، ببريق ظافر وحشى واثق ..

ولم يكن (أكرم) بحاجة إلى ضغط زناد مدفعه ، وإطلاق النيران ، ليدرك تلك الحقيقة الرهيبة ..

لقد استعاد ذلك الطيف ، بوسيلة خارقة للمألوف ، قدراته الفائقة ..

وعاد ..

عاد يحمل كل الوحشية ، والغضب والشراسة ..

وبلا حدود ..

★ ★ ★

٩ ـ الوحش ..

« سبع دقائق ، وأستعيد السيطرة على نظام الأمن ، داخل المبنى العلمى العسكرى .. »

نطقت (نشوى) العبارة فى انفعال ، فهتفت بها (سلوى) ، وهى تعمل فى جهاز آخر ، بأقصى سرعتها :

ـ أسرعى بالله عليك .. كل دقيقة لها ثمنها ، كما يقول (نور) .

قالت (نشوى) ، وأصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر :

ـ إننى أعمل بأقصى سرعتى .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ أتعشَّم أن يكفى هذا .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ إننا نبذل ما بوسعنا يا أمى .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ وذلك الطيف يتطوَّر بسرعة أيضًا .

توقَّفت (نشوى) عن العمل ، وهى تستدير إلى أمها ، متسائلة فى قلق شديد ، وبصوت ارتجفت نبراته :

ـ ماذا تعنين بالضبط ؟!

أشارت (سلوى) إلى المنحنيات ، التى يرسمها جهازها ، وهى تقول :

ـ وفقًا لهذا البرنامج ، الذى يدرس وضعًا افتراضيًا ، لشخص اكتسب قدرة على الشفافية وعدم التماسك ، بسبب طاقة كهربية هائلة ، تجرى فى خلاياه ، ويقارنها بحالة أخرى واجهتنا ، لشخص اكتسب قدرات رهيبة ، بأسلوب متقارب من هذا(*) ، فإن الجسد سيتكيَّف مع وضعه الجديد ، بسرعة تتناسب مع الطاقة المختزنة فى خلاياه ، وهذا يعنى أنه سيطوِّر قدراته ، على نحو يتناسب مع ما يبذله من طاقة ، وما يحيط به من ظروف ، و ...

قاطعتها (نشوى) فى توتر :

(*) راجع سلسلة (ملف المستقبل) ، قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

ـ أمى .. هل يمكنك ترجمة كل هذا إلى عبارة مباشرة ؟!

ازدردت (سلوى) لعابها فى صعوبة ، وهى تومئ برأسها إيجابًا ، ثم قالت بصوت متوتر مرتجف :

ـ ما أريد أن أقوله ، دون الدخول فى تفاصيل علمية معقَّدة ، هو أن ما واجهه الكل هناك ، فى المبنى العلمى العسكرى ، لم يكن سوى الدرجة الأولى ، من جدول القدرات ، التى اكتسبها ذلك القاتل ، ووفقًا للبرنامج ، فإن النشاط الفائق ، الذى يبذله طوال الوقت ، سيقفز بمعدَّل تطوَّر خلاياه إلى قدرات غير متصوَّرة ، خلال اللحظات التالية .

هتفت (نشوى) مذعورة :

ـ بهذه السرعة ؟!

أجابتها (سلوى) :

ـ لا تنسى أننا نتحدَّث عن خلايا خاصة ، تلقَّت عقارًا جديدًا ، يفترض فيه أن يمنحها صلابة شديدة ، مع تيار كهربى يبلغ نصف مليون فولت .. أى أننا نتحدَّث عن مفاعل ذرى صغير ، فى جسد آدمى .

صمتت (نشوى) لحظة مبهوتة ، قبل أن تسأل فى خفوت :

ـ وهل يمكنك استنتاج نوع القدرات الجديدة ، التى سيكتسبها ذلك القاتل ؟!

هزَّت (سلوى) رأسها نفيًا ، فى توتر شديد ، وهى تجيب :

ـ من المستحيل التنبؤ بهذا ، ولكن كل ما يمكننى تأكيده هو أنها ستكون قدرات خارقة ورهيبة .. رهيبة للغاية .

قالتها ، وصوتها يرتجف ..

بل جسدها كله ..

وبكل قوة ..

★ ★ ★

لثوان ، أدار الطيف عينيه الساخرتين ، الظافرتين ، الشامتتين ، فى وجوه الجميع ، قبل أن يبتسم ابتسامته الوحشية ، التى تبرز أسنانه الحادة ، الشبيهة بأسنان سمكة القرش ..



استدار إليه الطيف فجأة ، ورفع يده نحوه ، وهو يطلق صرخة شرسة صارمة ..

وبكل رعب الدنيا ، خرّ الدكتور (أيمن) ساجدًا على ركبتيه ، وهو يصرخ :

- لا تقتلنى .. أرجوك .. أنا لم أفعل شيئًا .. هم فعلوا كل هذا .

تحرك (أكرم) فى عصبية ، وهو يهتف :

- أيها الحقير .

استدار إليه الطيف فجأة ، ورفع يده نحوه ، وهو يطلق صرخة شرسة صارمة ..

ومع صرخته ، شعر (أكرم) بشىء رخو يرتطم بصدره ، فى قوة هائلة ، بحيث انتزعه من مكانه فى عنف ، ودفعه أمامه ثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يضرب به الجدار فى قوة ، ثم يتراجع دفعة واحدة ، تاركًا إياه يسقط أرضًا ، وهو يمسك صدره ، ويلهث ويسعل فى قوة ..

وبكل رعبه ، تراجع الدكتور (أيمن) ، ثم انطلق يعدو ، عائدًا إلى الداخل ، فى حين اندفع (نور) إلى الأمام ، هاتفًا :

- رباه ! (أكرم) !

استدار إليه الطيف فى سرعة ، ورفع يده نحوه ، مطلقًا صرخة أخرى ..

وكما حدث مع (أكرم) ، شعر (نور) بالصدمة ، وبجسده يطير إلى الخلف فى عنف ، متجاوزًا مدخل الطابق الأرضى ، ليسقط فى الساحة الأمامية للمبنى ..

وفور سقوطه ، تحركَ جانبا بوَّابة المبنى ، واندفعا نحو بعضهما، ثم ارتطمت حافتاهما فى قوة ، والتحم رتاجهما على نحو عجيب ..

واتسعت عينا (نور) ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه ، مع الآلام الرهيبة ، التى يشعر بها فى صدره وضلوعه ..

وهاله ما حدث إلى أقصى حد..

ففى نفس اللحظة ، التى تصورّ فيها أنه قد قضى على ذلك الطيف ، فوجئ به ينهض من سقطته ، مكتسبًا قدرات رهيبة ، لاقبل للبشر بها ..

وبكل هلعه راح (نور) يتلفَت حوله ، بحثًا عن وسيلة للمقاومة ، بعد أن عزله الطيف القاتل عن رفاقه تمامًا ..

أما فى الداخل ، فقد تراجع (أكرم) و (رمزى) والدكتور (عبد الحكيم) والجندى المتبقى ، فى توتر بالغ ، والطيف يتابعهم ببصره ، وبضحكاته الوحشية الظافرة ..

وبنظرة من عينيه ، وقدرة مذهلة على تحريك الأشياء عن بعد ، جعل مقعدًا يرتفع من مكانه ، ثم يندفع بسرعة مخيفة نحو الجندى الأخير ..

وبمنتهى الذعر ، أطلق الجندى نيران مدفعه نحو المقعد الطائر ، فأزاحه بعيدًا ، ولكن الطيف أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يدير عينيه نحو مقعد آخر ، ليرتفع بدوره ، ويندفع نحو الجندى المسكين ..

ثم تلاه مقعد ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وصرخ الجندى من الرعب ، وهو يطلق نيران مدفعه نحو المقعد الثانى ، فى حين اندفع (أكرم) يحاول التقاط مدفعه الآلى ، الذى سقط من يده ، مع تلك اللطمة الرهيبة ، التى تلقاها فى صدره ؛ ليطلق النار على المقعد الثالث ..

ولكن الوقت لم يسعفه لهذا ..

ففى نفس اللحظة ، التى التقط فيها المدفع ، والتى انطلق فيها الدكتور (عبد الحكيم) يعدو ، عائدًا إلى الداخل ، ارتطم المقعد الثالث بالجندى فى عنف ، ودفعه إلى الأمام فى قوة ، ليرتطم به المقعد الرابع ، فى رأسه مباشرة ..

وتفجَّرت الدماء من رأس الجندى المسكين ، وهو يسقط أرضًا ، ومدفعه الآلى يطير من يده بعيدًا ..

ولكن فجأة ، توقَّف المدفع الآلى فى الهواء ، بقوة التحكُّم عن بعد ، التى امتلكها ذلك الطيف القاتل ، ثم استدارت فوهته نحو الجندى ، الذى اتسعت عيناه فى رعب هائل ، فصرخ (أكرم) ، وهو يدير فوهة مدفعه ، نحو المدفع الآخر ، فى سرعةٍ وغضب :

- أيها الوغد .

أطلق نيران مدفعه نحو المدفع الآخر فى عنف ، و (رمزى) يتراجع ، ويحمى وجهه بذراعيه ، هاتفًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أصابت الرصاصات المدفع الآخر ، فانتفض فى عنف ، ولكنه استعاد موقعه فى سرعة ، قبل أن تنطلق منه

الرصاصات بغتة ، لتحصد الجندى الأخير بلا رحمة .. ثم استدار المدفع الآلى نحو (رمزى) و (أكرم) ، فتراجع هذا الأخير فى سرعة ، هاتفًا :

رباه ! إنه سوف ...

لم يتمّ عبارته ، ولم يحاول حتى هذا ، وإنما دار على عقبيه ، ودفع (رمزى) أمامه ، صائحًا :

- أسرع يا رجل .. أسرع بالله عليك .

ومن خلفهما ، انطلقت رصاصات المدفع الآلى ، ترتطم بالأرض والجدران ، وهما يقفزان عبر مدخل الطابق الأرضى ، إلى الطابق الأوَّل ، تلاحقهما الرصاصات ، وضحكات الطيف الوحشية الساخرة ..

وما إن اختفيا ، حتى تألَّقت عينا الطيف ، فى ظفر شامت ، واستمتاع وحشى مخيف ، وترك المدفع الآلى يسقط أرضًا ، وهو يرفع يديه إلى وجهه ، ويتطلَّع إليهما فى جذل شرس ، وكأنما أدهشه وأمتعه أنه يكتسب كل هذه القدرات المدهشة ..

وفى هدوء ، خفض كفيه ، واتجه نحو مدخل الطابق الأوَّل ، وعبره ، ثم استدار إليه ، وتألَّقت عيناه مرة أخرى ..

ومع تألقهما ، تحرّك باب الطابق ، وأغلق نفسه فى قوة ، فاتسعت ابتسامة الطيف الوحشية ، وأطلق ضحكة ظافرة عالية ..

ضحكة تردّدت فى المبنى كله ، معلنة أن الدقائق القادمة ستشهد مذبحة جديدة ..

مذبحة تراق فيها الدماء أنهارًا ..

وبلا حدود ..

* * *

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، وهو يستقل تلك الأسطوانة الشفافة ، ذات الضوء البنفسجى الهادئ ، التى تهبط به إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى المخابرات العلمية ، حيث مكتب القائد الأعلى ..

وللمرة الثالثة ، فى اهتمام بالغ ، راح الدكتور (جلال) يراجع كل ما ورد من تقارير ، حول واقعة المبنى العلمى العسكرى ، والتى بدت له ، فى هذه المرة أيضًا ، خطيرة إلى حد لا يمكن تصوّره ..

وأمام مكتب القائد الأعلى ، شدّ الدكتور (جلال) قامته ، ووقف ثابتًا كالمعتاد ، وهو يقول :

- الدكتور (جلال) .. مدير مركز الأبحاث .

التقط جهاز تحليل البصمة الصوتية عبارته ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها شعاعان من الليزر ، راح أحدهما يفحص بصمة قزحيته ، فى حين راح الثانى يدرس ملامحه ، وتوزيع المسام العرقية على وجهه ، قبل أن يرتفع صوت آلى ، يقول :

- تم التحقُّق من الشخصية .. الدخول متاح .

انفتح باب حجرة مكتب القائد الأعلى فى هدوء ، فور انتهاء العبارة ، فعبره الدكتور (جلال) ، والقائد الأعلى ينهض لاستقباله ، متسائلاً فى اهتمام قلق :

- هل توصّلتم إلى شىء؟!

زفر الدكتور (جلال) فى توتر ، وهو يلوّح بالتقارير ، قائلاً :

- خبراؤنا درسوا كل ما حدث بمنتهى الدقة .. التجربة الرئيسية ، والصدمة الكهربية المباغتة ، وما حدث لذلك

القاتل ، وملفه النفسى ، واحتمالات التغير فى قواه العقلية ، وحالته النفسية ، وبعدها درسوا ما يمكن أن يصيب خلاياه وجسده ، مع كل ما يبذله من نشاط عنيف ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

- النتائج يا دكتور (جلال) .. النتائج .

زفر الرجل مرة أخرى ، وهو يجيب :

- النتائج مخيفة للغاية !

ثم ألقى جسده على مقعد قريب ، متابعًا :

- ذلك القاتل ، بالطاقة الهائلة التى يحملها ، والتفاعلات الرهيبة ، التى تحدث فى دمه وخلاياه طوال الوقت ، أصبح ، من الناحية العلمية مجرَّد ...

صمت لحظة فى تردُّد ، قبل أن يضيف فى حزم :

- قنبلة .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يردِّد :

- قنبلة ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال فى توتر بالغ :

- نعم .. قنبلة نيترونية ، تمرّ الآن بمرحلة الإعداد والتجهيز ، وعندما تبلغ تفاعلاتها المتواصلة نقطة الصفر ، ستنفجر ..

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً فى عصبية :

- رباه ! هذا يعنى أننا نواجه قنبلة زمنية ، وليس مجرَّد قاتل طليق .

زفر الدكتور (جلال) للمرة الثالثة ، وهو يقول :

- هذا صحيح للأسف ، ولكنها قنبلة زمنية نيترونية ، يكفى انفجارها لإزالة (مصر) كلها من الوجود ، خلال ثلاث ثوان فحسب .

امتقع وجه القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

ثم اعتدل فى مقعده ، متسائلاً فى توتر:

- ولكن يوجد سبيل حتمًا لتفادى هذا .. أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى تردُّد :

ـ بلى ، ولكن ...

قاطعه القائد الأعلى فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

تردَّد الدكتور (جلال) لحظة أخرى ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ الوسيلة الوحيدة ، لمنع حدوث الانفجار ، هو أن نوقف التفاعل ، قبل أن يبلغ نقطة الصفر .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتساءل فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بإنهاء مصدر التفاعل .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يقول فى حيرة :

ـ ولكن التقارير الأوَّلية تؤكِّد أنه ما من سبيل للقضاء على هذا الوحش الآدمى ، بكل الطرق الطبيعية المألوفة .

هزَّ الدكتور (جلال) سبابته فى الهواء ، قائلاً :

ـ كان هذا فى البداية ، ولكن الدراسات المكثفة أشارت إلى احتمالين لا ثالث لهما ، فإما أن يكون جسده المفعم بالطاقة الكهربية شديد الحساسية للماء ، أو أن المزيد من الكهرباء يكفى لانهيار الخلايا تمامًا .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ وهل يمكن أن يوقف هذا التفاعل ؟!

مطَّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه الجزم للأسف ، فالرجال يخشون أن تؤدى أية وسيلة إلى نتائج عكسية ، بحيث يتسارع التفاعل ، ويقفز دفعة واحدة إلى نقطة الصفر ..

امتقع وجه القائد الأعلى مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ رباه ! ما الذى يمكننا أن نفعله إذن ؟!

زفر الدكتور (جلال) مرة إضافية ، وهو يقول :

المشكلة ليست كلها فى ماذا نفعل ، ولكنها تكمن أكثر فى متى نفعل .

سأله فى توتر قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى سطر فى الفقرة الأخيرة من التقرير، قائلاً:

- أعنى أن أكثر الحسابات تفاؤلاً تشير إلى أن أمامنا بين ست وثمان دقائق، قبل أن تصل التفاعلات إلى نقطة الصفر.

ثم ارتجف صوته، وهو يستطرد:

- أو بمعنى أدق، قبل أن يتحدَّد مصير (مصر) كلها.

واتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما..

فالموقف كان خطيرًا ورهيبًا..

بحق..

★ ★ ★

لم يشعر (نور)، فى حياته كلها، بالتوتر والعصبية، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة، وهو يعدو فى الساحة الأمامية والخلفية للمبنى، بحثًا عن وسيلة للعودة إليه.. ولكن كل المنافذ والنوافذ كانت مغلقة بمنتهى الإحكام..

وبكل غضبه، هتف (نور):

- ماذا أفعل ؟! يا إلهى ! ماذا أفعل ؟!

أدار عينيه مرة أخرى فى المكان، حتى توقَّف بصره عند مدفع آلى كبير، من مدافع الحراسة على السطح، فاندفع نحوه، وتسلَّق برج الحراسة بأقصى سرعته، وفحص المدفع، ليتأكَّد من أن خزانته ممتلئة، قبل أن يجذبه بكل قوته، محاولاً انتزاعه من مكانه..

كان المدفع مثبتًا بقاعدته فى البرج، كوسيلة من وسائل التأمين، حتى إن وجهه قد احتقن فى شدة، وهو يحاول انتزاعه..

ويحاول..

ويحاول..

ويحاول..

ومع الجهد الرهيب الذى بذله، راح يلهث فى شدة، ويهتف:

- لابد أن أفعل شيئًا.. لابد...

تلفَّت حوله مرة أخرى، ثم التقط المقعد الصغير، الخاص بحارس البرج، وحمله ليهوى به على الجدار فى عنف مرة..

ومرة ..

ومرة ..

وأخيرًا ، تحطَّم الحاجز العلوى من المقعد ، فالتقطه فى لهفة ، وانحنى حتى رقد أرضًا ، وهو يدس الطرف الحاد للحاجز ، فى تجويف أحد المسامير الثلاثة ، التى تثبت قاعدة المدفع الآلى فى الأرض ، ثم راح يديره فى قوة ..

كان عملاً شاقًا إلى أقصى حد ، حتى إنه عاد يلهث فى عنف ، وهو يدير المسمار الأوَّل ، حتى انتزعه من مكانه ، ثم انتقل إلى الثانى ..

كانت كل ذرة فى كيانه ترتجف ، وعقله يرسم عشرات الصور والاحتمالات البشعة ، لما يمكن أن يصيب رفاقه والآخرين ، داخل المبنى ، مع ذلك الطيف القاتل الطليق ، الذى يزداد فى كل لحظة قدرة وجنونًا ..

وكان يحنقه أن يقف هكذا ، عاجزًا معزولاً ، والقتال كله يدور فى الداخل ، ورفاقه هناك ، يواجهون وحشًا كاسرًا ، لايعرف الرحمة أو الشفقة أو الهوادة ..

وفى عنف ، راح قلبه يدق ، وتصبَّب العرق على وجهه غزيرًا ، وهو ينتزع المسمار الثانى ، ثم ينتقل إلى الثالث ..

ومن بعيد ، داخل سيارة مركز الأبحاث ، هتفت (سلوى) فى ذعر :

ـ يا إلهى ! (نور) .

أدارت (نشوى) عينيها فى سرعة ، تتطلَّع إلى صورة والدها ، على شاشة الراصد ، وهو يكافح لانتزاع المسمار الثالث والأخير ، وتساءلت فى انزعاج شديد :

ـ ما الذى يفعله هناك وحده ؟!

ثم ارتجف صوتها فى ارتياع ، وهى تضيف :

ـ وأين الآخرون ؟!

هزَّت (سلوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

وقفزت يدها نحو أحد الأزرار ، فى جهاز التحكُّم الخاص بها ، فأمسكت (نشوى) معصمها ، قبل أن تبلغ سبابتها الزر ، وهتفت بها مستنكرة :

ـ أمى .. ماذا تفعلين ؟!

أجابتها فى صرامة ، وهى تنتزع يدها من بين أصابعها :

ـ سأزيل غلاف الطاقة .. لابد أن أفتح الطريق أمام (نور) .

صاحت (نشوى) ، وهى تضغط على معصمها أكثر :

ـ مستحيل !

صاحت (سلوى) فى حدة :

ـ هل ترفضين منح والدك فرصة للنجاة ؟!

أجابتها (نشوى) :

ـ بل أرفض ما سيرفضه أبى حتمًا ، لو أنه فى موضعى .

صرخت (سلوى) :

ـ إنه يحتاج إلينا .

أجابتها (نشوى) فى حزم :

ـ ولكنه لن يتخلّى عن الآخرين قط ، ولن يمنح ذلك الطيف القاتل فرصة للخروج من غلاف الطاقة ، وبلوغ المدينة ، بكل مايحمله فى أعماقه من شرور ، ورغبة سادية وحشية ، فى إراقة الدماء وإزهاق الأرواح .

زاغت عينا (سلوى) ، وأغرورقتا بالدموع ، وهى تقول :

ـ ولكن (نور) ...

قاطعتها (نشوى) فى رفق ، وهى تبعد يدها عن الأزرار :

ـ أبى لن يغادر المكان قط ، حتى ولو صنعت له جسرًا آمنًا من الذهب .. أنت وأنا نعلم هذا .. ونعلم أيضًا أن إزالة الحاجز ستعرّض الكل لمصير رهيب ، لايعلم مداه إلا الله (سبحانه وتعالى) .

تفجّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تراقب (نور) على الشاشة ، وقد انتهى من انتزاع المسمار الثالث ، ثم نهض يحمل المدفع الآلى الثقيل ، ويختفى معه خارج دائرة المراقبة ، فغمغمت :

ـ ساعده يا إلهى ! ساعده !

وانهمرت دموعها فى غزارة ..

وفى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، كان (نور) يندفع نحو جدار المبنى ، المجاور لمدخله الرئيسى ، وهو

يحمل المدفع الثقيل ، ويلهث فى عنف ، حتى تكاد أنفاسه تتقطع ..

ولكن فجأة ، توقَّف عن الجرى ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يواصل اللهاث فى عنف ، وأدار بصره نحو مدخل القبو ..

وفى ثانية واحدة ، حسم أمره ، واندفع نحو القبو ، ووضع المدفع الثقيل على قوائمه الثلاث أرضًا ، وصوَّبه إلى الجدار المجاور لمدخل القبو ، ثم رقد أرضًا ، وضغط الزناد ..

وانطلقت الرصاصات ، لتنهمر على الجدار كالمطر ..

وفى بقعة واحدة ..

وعلى الرغم من عنف وقوة الرصاصات ، إلا أن الجدار صمد بشدة ، ولم تظهر عليه سوى بعض الخدوش ..

ولكن (نور) واصل إطلاق النيران ..

وعلى نفس البقعة ..

ولثوان ، خُيِّل إليه أن كل ما بذله من جهد لم يكن يساوى شيئًا ، مع صمود الجدار القوى ، و ...

ولكن فجأة ، انهار جزء من الجدار ، ليصنع فجوة صغيرة ، ظهر خلفها القبو نفسه ..

وبكل لهفته ، أسرع (نور) نحو الفجوة ، وألقى نظرة على القبو ..

ومن بعيد ، وعلى الضوء الخافت ، لمح مصدر المياه الرئيسى ..

كان يواجهه تمامًا ، من تلك الزاوية ، التى تطلّ على أقصى يسار القبو..

ولكنه كان يبعد ستة أمتار على الأقل ..

والفجوة نفسها لم يكد قطرها يزيد على خمسة عشر سنتيمترًا ..

ومن المؤكَّد أنه يحتاج إلى عشر مدافع آلية أخرى ، حتى يمكنه فتح فجوة تناسب حجمه ..

وإلى زمن لا يمتلكه ..

ولا يمكنه أن يمتلكه ..

ولكن عقله انطلق يعمل بأقصى سرعة ..

لا بد من وسيلة لإطلاق الماء فى مواسير المياه ، والأجهزة المضادة للحريق ..

لا بد من وسيلة ما ..

قفزت الفكرة إلى ذهنه فجأة ، فلم يضع ثانية واحدة ، وهو يعود إلى المدفع الآلى ، ويدفعه نحو الفجوة ..

نعم .. إصابة مباشرة لمحبس مصدر المياه الرئيسى ستنسفه ، وتلغى عمله تمامًا ..

صحيح أن المياه ستتفجَّر داخل القبو فى عنف ، ولكن الكثير منها سيواصل طريقه عبر المواسير فى المبنى ، وسيكفى إشعال وحدة واحدة ، من وحدات أجهزة إطفاء ومقاومة الحريق ، لتعمل كل الأجهزة فى المبنى دفعة واحدة ..

ولتغمر المياه ذلك الطيف القاتل ..

رقد أرضًا مرة أخرى ، خلف المدفع الآلى ، وصوَّبه بمنتهى الإحكام ، عبر الفجوة الصغيرة ، إلى محبس مصدر المياه الرئيسى ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يكتم أنفاسه فى قوة ، ويُحكم التصويب ، و ...

وضغط الزناد ..

ولكن رصاصة واحدة لم تنطلق من المدفع ..

واتسعت عينا (نور) فى ارتياع ..

لقد نفدت ذخيرة المدفع ..

نفدت فى وقت غير مناسب ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

١٠ـ الحل الوحيد ..

« للأسف أيها القائد الأعلى .. لا يوجد سبيل آخر !! »

نطق الدكتور (جلال) العبارة في أسى حقيقي ، وهو يعض شفتيه في مرارة فاحتقن وجه القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ يا للهول ! ويا له من خيار رهيب !

ثم لوّح بيده ، مضيفًا :

ـ (نور) و (أكرم) و (رمزي) داخل المكان ، وهم أفضل رجالنا على الإطلاق ، والتضحية بهم ليست بالأمر السهل .

قال الدكتور (جلال) في خفوت :

ـ والتضحية بـ (مصر) كلها من أجلهم ليس أمرًا واردًا .

غمغم القائد الأعلى في مرارة :

ـ للأسف !

ثم نهض من خلف مكتبه ، مضيفًا في توتر :

ـ ولكنني ما زلت أجد صعوبة في إصدار القرار .

أجابه الدكتور (جلال) في حزم :

ـ لا ينبغي أن تتردَّد لحظة واحدة أيها القائد الأعلى ؛ فليس لدينا ما يكفي من الوقت للتردُّد .. الدقائق تمضي في سرعة مخيفة ، وبعد أربع دقائق وعشرين ثانية ، سيبلغ التفاعل نقطة الصفر ، وينتهي أمرنا جميعًا .

زفر القائد الأعلى في توتر ، قبل أن يسأله :

ـ كم تحتاج الطائرات ، لبلوغ المبنى العلمي العسكري ، ونسفه بالقنابل الحارقة ؟!

أجابه الدكتور (جلال) في سرعة :

ـ دقيقتان وتسع ثوان ، منذ صدور الأمر بالتنفيذ .

ثم أضاف في حزم :

ـ وهذا يعني أن أمامنا وقت ضئيل للغاية .

أجابه القائد الأعلى في صرامة :

- ولكن أمامى دقيقة كاملة لاتخاذ القرار .

هتف فى توتر :

- موعد الانفجار تقديرى بحت ، خضع لدراسات أكاديمية فحسب ، وربما يكون هناك أمر آخر ، يسرع بعملية التفاعل .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- أو يبطئها .

تنهَّد الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- فليكن .

قال القائد الأعلى :

- فى هذه الحالة دعنا نتعامل ، بافتراض أن الموعد الذى حدَّده الخبراء هو الموعد الصحيح ، ودعنى أفكِّر جيدًا ، خلال الدقيقة التالية ، حتى يمكننى اتخاذ القرار السليم .

قالها ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وراح عقله يعيد دراسة الموقف كله ، ويطرح على نفسه سؤالاً واحدًا ..

بأيهما يضحى ؟!

بـ (نور) و (أكرم) و (رمزى) ..

أم بـ (مصر) ..

(مصر) كلها ..

★ ★ ★

انكمش الدكتور (أيمن) فى رعب ، فى ركن الخزانة الخشبية الكبيرة ، فى مخزن أدوات التجارب ، وراح جسده يرتجف فى قوة ، ووجهه شاحب كالموتى ، واندسَّ الدكتور (عبد الحكيم) إلى جواره ، وهو يتساءل فى ذعر :

- إلى متى سنبقى هنا ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- حتى ينتهى الأمر .

سأله فى عصبية :

- ومتى ينتهى ؟!

صاح فيه (أكرم) فى حدة :

- بعد دقيقة ، أو ساعة ، أو حتى عام كامل .. من يدرى ؟! ابق هنا فى الأمان ، أو اخرج وواجه ذلك الوحش .

هتف الدكتور (أيمن) فى رعب :

ـ سنبقى .. سنبقى ..

سأله الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يرتجف فى شدة :

ـ وماذا لو عثر علينا ؟!

أجابه (أكرم) فى توتر :

ـ لن يخطر بباله البحث عنكم هنا ، خاصة وأننا لن نمنحه الفرصة لهذا ، والخزانة بها فتحات كافية للتهوية ، وكل ماتحتاجون إليه هو الصمت ، حتى ينتهى الأمر .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ ابق معهما ، واحرص على أن يسود الصمت والسكون التامين ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ لاتفكرّ فى هذا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حزم أكثر :

ـ أعنى أننا فريق واحد ، ومادمت ستواصل قتال ذلك الوغد ، فسنكون معًا ، كما كنا دومًا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ المرحلة القادمة ستبلغ مرحلة من العنف لاقبل لك بها .. أنت خبير فى الطب النفسى ، ولست مقاتلاً .

قال فى صرامة :

ـ أنا عضو بالفريق يا (أكرم) .

أمسك (أكرم) كتفيه فى قوة ، قائلاً فى حدة :

ـ اسمع يا (رمزى) .. ليس لدى وقت لمناقشتك وإقناعك .. ذلك الوحش سيصل إلى هنا فى أية لحظة .. نفذ ماطلبته منك أولاً ، وسنناقش دورك فى الفريق فيما بعد .

هتف (رمزى) فى صرامة :

ـ مستحيل !

تراجع (أكرم) ، وهو يرمقه بنظرة عصبية ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- لم تترك لى سوى خيار واحد إذن .

قال (رمزى) فى تحد :

- ما هو ؟! هل ستجبرنى على البقاء ؟!

هوى (أكرم) على فكه فجأة بلكمة كالقنبلة ، قائلاً فى صرامة :

- بالتأكيد .

كانت اللكمة من العنف ، بحيث أفقدت (رمزى) الوعى على الفور ، فالتقطه (أكرم) بين ذراعيه فى سرعة ، ونقله داخل الخزانة الخشبية الكبيرة فى رفق عجيب ، لايتناسب مع لهجته الصارمة المتوترة ، وهو يقول للرجلين داخلها :

- احرصا عليه كحياتكما ..

ثم أغلق الخزانة فى إحكام ، وهو يبتعد عنها ، قائلاً :

- سامحنى ياصديقى .. لقد فعلت هذا من أجلك .. من أجل (نشوى) و (محمود) الصغير .

انطلق يعدو تقريبًا ، عائدًا إلى قاعة التجارب ، وما إن بلغها حتى اندفع نحو أحد الأجهزة الثقيلة ، ودفعه أمامه

فى قوة ، نحو ذلك الجزء من الجدار ، المجاور للنافذة ، والذى صنع فيه جهاز الليزر ثقوبًا متجاورة ، على هيئة دائرة ، ولهث وهو يغمغم :

- سأقتلك أيها الوغد .. سأقتلك حتى ولو كان هذا آخر ما أفعله ، فى حياتى كلها .

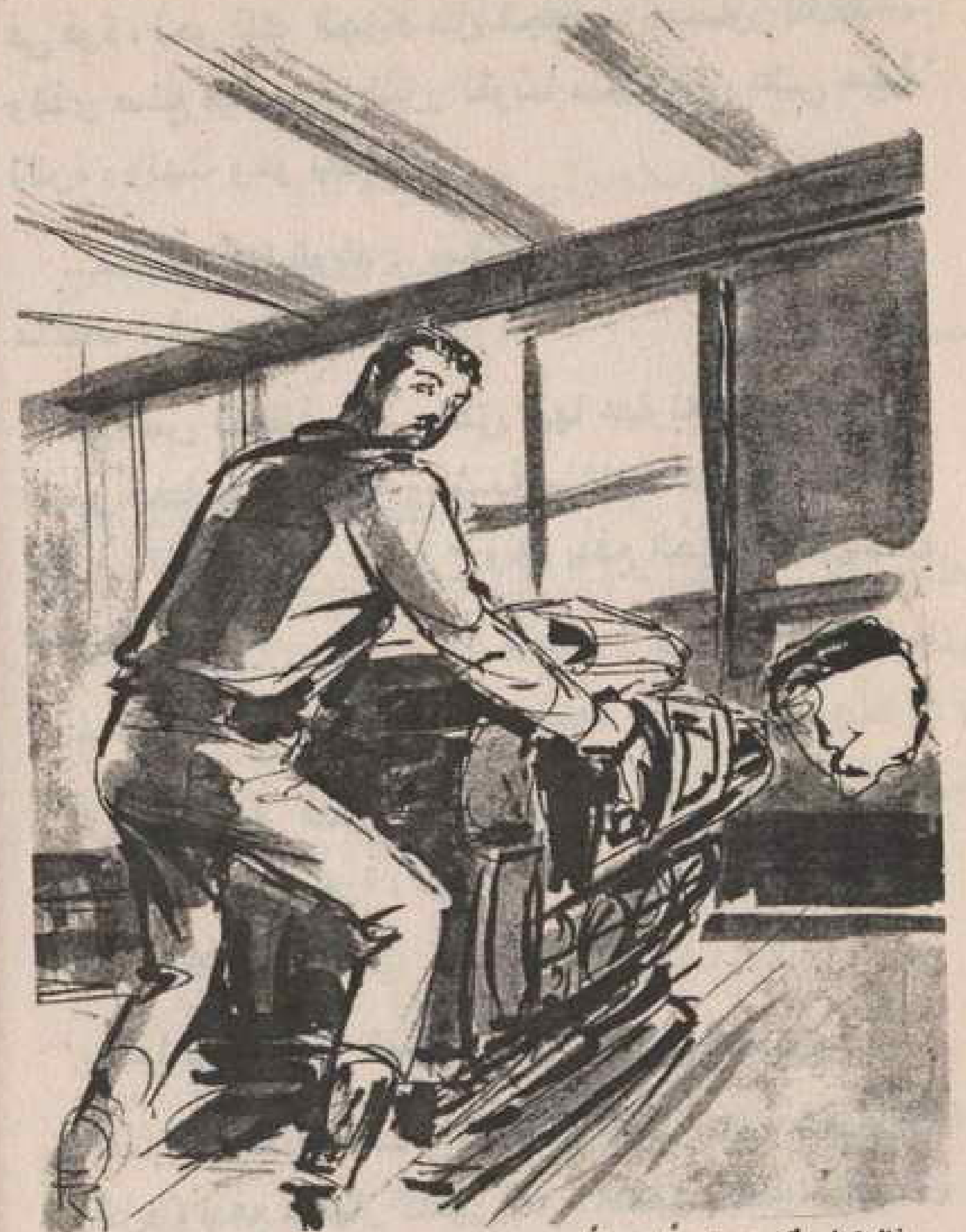
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، انطلقت فى الممر الخارجى ضحكة وحشية ساخرة عالية ، فالتقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وصرخ وهو يدفع الجهاز الثقيل بكل قوته :

- سأقتلك .

ارتطم الجهاز الثقيل بالجدار فى عنف ، وانتشرت فى الجدار تشققات كبيرة ، فجذب (أكرم) الجهاز إليه مرة أخرى ، وهو يهتف :

- هيا أيها الجدار السخيف .. تحطَّم .. تحطَّم .

اخترق الطيف جدار القاعة ، فى تلك اللحظة ، و (أكرم) يدفع الجهاز الثقيل للمرة الثانية ، بكل ما يملك من قوة ..



فالتقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وصرخ وهو يدفع الجهاز الثقيل بكل قوته :
ـ سأقتلك .

وفى هذه المرة ، ارتطم الجهاز الثقيل بالجدار ، الذى تحطَّم ، بفعل الثقوب الصغيرة المحيطة بموضع الارتطام .

ومن ارتفاع ثلاثة طوابق ، هوى الجهاز الثقيل ، الذى يبلغ ثمنه عدة ملايين من الدولارات ، ليرتطم بالأرض فى عنف ، وتناثرت أجزاؤه على مساحة واسعة ..

وزمجر الطيف ، وهو يكشِّر عن أسنانه الحادة المخيفة ، واقترب بجسده نصف الشفاف من (أكرم) ، الذى دفع جسده خارج الفجوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .. إننى أفضل الموت ، على أن تقتلنى أنت .

برقت عينا الطيف على نحو رهيب ، وبرزت أسنانه الحادة أكثر وأكثر ، وهو يطلق صرخة وحشية ..

ثم انقضَّ على (أكرم) بكل شراسته وقوته ..

ولكن (أكرم) دفع جسده إلى الخارج بكل قوته ..

ومن ارتفاع ثلاثة طوابق كاملة ، هوى جسده ..

وبمنتهى السرعة ..

★ ★ ★

كاد (نور) يطلق صرخة قوية ، عندما كشف نفاد ذخيرة مدفعه ، إلا أنه ، وبدلاً من هذا ، حوّل طاقته كلها إلى أعماقه ، ووثب من مكانه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، نحو برج الحراسة الثانى ..

ولا أحد يدرى كيف تسلّقه ، وانتزع خزانة الذخيرة من مدفعه ، ثم عاد أدراجه بهذه السرعة المذهلة ..

ولكنه فعلها ..

ذلك الانفعال الجارف فى أعماقه جعله يفعلها ..

وقبل مضى نصف الدقيقة ، كان يصوّب مدفعه مرة أخرى إلى محبس مصدر المياه الرئيسى بمنتهى الإحكام ..

ويُطلق النار ..

وأصابت رصاصته هدفها بالضبط ..

أصابت محبس مصدر المياه الرئيسى ، ونسفته فى عنف ، فتدفّقت المياه عبره ، وعبر مواسير المبنى فى الوقت ذاته ..

وهنا ، انتزع (نور) نفسه من مكانه ، وانطلق يعدو ، نحو جثة أحد رجال الأمن الصرعى ، وانتزع مسدسه الليزرى من جرابه ، و ...

وفى تلك اللحظة ، تحطَّم جدار الطابق الثالث ، وهوى منه الجهاز الثقيل ، ليرتطم بالأرض فى عنف ، ويتهشّم تمامًا ..

وبكل انفعاله ، رفع (نور) عينيه إلى جوار المبنى ، هاتفًا :

- يا إلهى ! ماذا يحدث ؟!

شاهد (أكرم) يبرز خارج التجويف الناشئ ، فخفق قلبه فى عنف ، وهو يهتف :

- (أكرم) ؟! إنها مواجهة ! أراهن على أنها مواجهة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وثب (أكرم) خارج التجويف ، وترك جسده يهوى فى الفراغ ، من ارتفاع ثلاثة طوابق ، فصرخ (نور) :

- (أكرم) !!

ولكن يبدو أن (أكرم) لم يكن يزمع الانتحار على الإطلاق ، عندما وثب من ذلك الارتفاع .

بل على العكس .. لقد كان يعرف طريقه بالضبط ، وكأنما درس الموقف كله منذ البداية ..

لقد وثب من الطابق الثالث ، وترك جسده يهوى إلى الطابق الثانى ، حيث تعلّق بإفريز النافذة السفلى ، ثم دفع جسده إلى اليمين ، وأفلت كفيه ، ليسقط فى شرفة بالطابق الأوَّل ، ومنها وثب من ارتفاع أربعة أمتار إلى الساحة الأمامية للمبنى ، وهبط على الأرض فى مرونة مدهشة ، قبل أن تنطلق من حلقه ضحكة عصبية ساخرة عالية ، هاتفًا :

- خسرت أيها الوغد .

انطلقت من الطابق العلوى صرخة غاضبة ثائرة وحشية ، فخفق قلب (نور) مرة أخرى ، وهو يعدو نحو فجوة جدار القبو ، هاتفًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

انحنى يلقى نظرة عبر الفجوة الصغيرة ، على جهاز إنذار ومقاومة الحريق فى سقف القبو ، قبل أن يصوِّب مسدسه الليزرى إلى الجزء المجاور له تمامًا ، بمنتهى الدقة والإحكام ..

ثم يُطلق الأشعة ..

وانطلق خيط الأشعة يصيب سقف القبو ، على مسافة سنتيمترات قليلة من جهاز الإنذار والمقاومة ..

ولم يكد هذا مجرَّد خطأ فى التصويب ..

فلو أن (نور) أطلق مسدسه نحو الجهاز مباشرة ، لنسفته الأشعة المدمرة ، وانطلقت مياهه فى القبو ..

لذا فهو لم يعمد إلى نسفه ..

وإنما إلى استثارته ..

فمع إصابة السقف ، على مسافة سنتيمترات منه ، احترق الدهان المصنوع من البلاستيك ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة ، لم يكد الجهاز يلتقطها ، حتى افترض وجود حريق بالمبنى ، فأطلق صفارة الإنذار ..

وأطلق معها المياه ، فى كل مكان بالمبنى ..

ومن موقعه ، رأى (أكرم) ما فعله (نور) ، فصرخ :

- مرحى يا رجل .. لقد قضينا عليه ..

نهض (نور) ، مغمغمًا فى توتر :

- أتعشَّم هذا .

اندفع نحوه (أكرم) ، وربَّت على كتفيه فى حرارة ، هاتفًا :

- لن يحتمل الماء المنهمر فى كل مكان يا صديقى .. لقد أجدت دورك على نحو رائع .. لقد هزمناه هذه المرة .

قال (نور) فى توتر :

- لو أننا فعلنا ، فلماذا لا نسمع صراخه إذن ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا تعنى ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- فى المرات السابقة ، كانت المياه تؤلمه بشدة ، وكان يطلق دومًا صرخات قوية ، تجمع ما بين الألم والذعر ، أما هذه المرة ...

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

- ربما باغته الأمر هذه المرة ، فلم يجد الوقت لإطلاق صرخاته .

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- هذا غير منطقى .

سأله (أكرم) ، فى عصبية أكثر :

- ما المنطقى إذن ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا متوترًا ، قبل أن يجيب :

- إما أنه قد اكتسب مناعة من تأثير المياه ، بعد تلك التطورات التى ألمت به ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله (أكرم) وقد نفد صبره :

- أو ماذا يا (نور) ؟!

تطلّع (نور) إلى نقطة ما خلف ظهره ، وهو يقول بصوت اختلط حزمه بتوتره :

- أو أنه خارج المبنى .

استدار (أكرم) فى سرعة ، إلى حيث يتطلّع (نور) ، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يطلق شهقة عنيفة ..

فأمامهما مباشرة ، وعلى مسافة أربعة أمتار فحسب ، كان يقف ذلك الطيف الوحش ، ثابتًا جافًا ..

ومن عينيه ، كان يطلّ غضب هائل ..

غضب يحمل بصمة واضحة ..

بصمة الموت ..

* * *

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية الكلمة ، بكل توتر الدنيا ، وهو يُطلق من أعمق أعماق صدره زفرة عصبية ملتهبة ، فسأله الدكتور (جلال) فى لهفة قلقة :

ـ هل اتخذت قرارك أيها القائد الأعلى ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى أسى ، قائلاً :

ـ يبدو أنه لامفرّ يا رجل .

غمغم الدكتور (جلال) ، فى أسى مماثل :

ـ لقد أخبرتك بهذا منذ البداية .

هزَّ القائد الأعلى رأسه مرة أخرى ، وهو يتمتم :

ـ ياللخسارة !

ألقى الدكتور (جلال) نظرة شديدة التوتر على ساعته ، وهو يقول :

ـ القرار أيها القائد الأعلى .

زفر القائد الأعلى فى مرارة ، ثم عاد إلى مكتبه ، وضغط زر جهاز اتصال سرى خاص للغاية ، وهو يقول :

ـ أرسلوا النسور .

وصمت لحظة ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، وكأنما لايحتمل هذه الخسارة الرهيبة ، ثم لم يلبث أن فتحهما ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ أمر عام إلى كل النسور .. لاتطلقوا الصواريخ الحارقة ، نحو المنطقة العلمية العسكرية ، إلا فى اللحظة الأخيرة .. أكرِّر .. فى اللحظة الأخيرة فقط .

أنهى الاتصال ، وهو يخفى وجهه بين كفيه ، فغمغم الدكتور (جلال) فى خفوت :

ـ أمازال لديك أمل ؟!

رفع القائد الأعلى إليه عينين محمرتين ، وهو يقول :

ـ المرء لايفقد الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) قط .

غمغم الدكتور (جلال) :

ـ ونعم بالله .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال فى حزامه ، فالتقطه بسرعة ، وضغط زره ، قائلاً فى لهفة :

ـ الدكتور (جلال) .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستمع إلى محدثه في انتباه شديد ، قبل أن يدير عينيه إلى القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ يبدو أن هناك مواجهة عنيفة ، في الساحة الأمامية للمبنى .

اتسعت عينا القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يستدير بسرعة إلى جهاز اتصال آخر ، وضغط زره ، قائلاً في انفعال :

ـ أريد رؤية مباشرة لما يحدث ، في ساحة المنطقة العلمية العسكرية .. استخدموا كل الوسائل المتاحة .. التصوير المباشر ، وعبر الأقمار الصناعية .. أريد متابعة كل ما يحدث ثانية فثانية ..

هتف الدكتور (جلال) :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو ينهي الاتصال ، ويضغط زر الراصد الخاص في حزم :

ـ كل شيء ممكن .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يتابع الموقف على الشاشة ، مضيفًا :

ـ ومن يدري ما الذي يمكن أن يحدث ، في هذه اللحظات الأخيرة من العملية ..

نعم أيها القائد الأعلى ..

من يدري ما الذي يمكن أن يحدث ، في اللحظات الأخيرة ؟!

من ؟!

★ ★ ★

لثوان ، لم يتحرك أحد الثلاثة قيد أنملة ، وهم يحدقون في بعضهم ، في توتر وتحفز بلا حدود ..

(نور) ..

(أكرم) ..

وذلك الطيف القاتل ..

ثم كان (أكرم) أول من قطع حالة الصمت والسكون ، وهو يستلّ من جيبه مسدسًا ، التقطه من جثة أحد رجال الأمن الصرعى ، وهو يهتف :

- أيها الوغد الحقير ..

تألَّقت عينا الطيف فى سخرية ، واتسعت ابتسامته الوحشية الرهيبة ، لتبرز أسنانه الحادة المخيفة ، فتراجع (نور) خطوة فى حذر ، وهو يغمغم فى توتر شديد :

- تُرى بم سيباغتنا هذه المرة ؟!

لم يكد تساؤله يتجاوز شفتيه ، حتى انتفض جسد الطيف كله ، وهو يُطلق صرخة قوية ..

ومع صرخته ، انطلقت من حلقه كرة من النار ..

كرة ملتهبة ، انطلقت نحو (نور) و (أكرم) ، على نحو رهيب مخيف ، فوثب الأوَّل يدفع الثانى عن مسارها ، صارخًا :

- احترس ..

سقط كلاهما أرضًا ، وعبرت كرة النار فوق رأسيهما ، وعلى مسافة سنتيمترات قليلة منهما ، حتى شعرا بلفحها ، فهتف (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ولم تكد كرة النار تتجاوزهما ، حتى هب واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ :

- أسرع يا (نور) .. أسرع .

تفجَّرت كرة النار على مسافة خمسة أمتار منهما ، وأشعلت النار فى مساحة كبيرة ، و (نور) يهبّ واقفًا بدوره ، ويعدو إلى جوار زميله ، صائحًا :

- رباه ! كيف يمكن مواجهة شىء كهذا ؟! كيف ؟!

راقبهما الطيف ، وهما يعدوان مبتعدين ، وتألَّقت عيناه مرة أخرى ، فى جذل وحشى ، وهو يتجه إليهما فى بطء ..

ثم رفع يده نحوهما ، وأطلق صرخة أخرى ..

وفى هذه المرة ، شعر (نور) و (أكرم) بذلك الشىء الرخو ، يرتطم بظهريهما فى عنف ، ويقتلعهما من مكانهما ، ليلقى بهما أربعة أمتار إلى الأمام ، ثم يسقطان أرضًا فى قوة ..

كانت هناك آلام رهيبة ، تنتشر فى جسديهما ، وهما يحاولان النهوض فى صعوبة ، و (أكرم) يهتف :

- يا للوغد ! يا للحقير !

لهث (نور) ، وهو يقول :

- لن يهدأ حتى يقضى علينا يا (أكرم) .. نحن آخر الرسميين فى هذا المكان .

هتف (أكرم) :

- من حسن الحظ أنه ما زال عاجزًا عن مغادرة المكان ، وإلا لعاث فسادًا وشرورًا ، فى العالم أجمع .

توقَّف الطيف فجأة ، عندما نطق (أكرم) عبارته هذه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وكأنما يدرس العبارة ، ويحاول استيعابها جيدًا ، قبل أن يرفع كفيه إلى وجهه ، ويتطلَّع إليهما فى اهتمام بالغ ..

ثم فجأة ، انطلقت من حلقه ضحكة ..

ضحكة ساخرة ، ظافرة ، قوية ، تردَّد صداها فى المنطقة كلها ، على نحو خفق له قلب (سلوى) فى رعب ، وهى تهتف :

- رباه ! ماذا يحدث هناك ؟! ماذا يحدث ؟!

وهتفت (نشوى) ، وأصابعها تعدو مجهدة ، فوق أزرار الكمبيوتر :

- يارب .

كان الراصد الخاص بهما ، من موقعه هذا ، عاجزًا عن رؤية ما يحدث فى ساحة المبنى ، ولكنه كان كافيًا لرصد انفجار كرة النار ، واللهب الذى تصاعد منها ، فهتفت (سلوى) بصوت ارتجفت كل نبرة من نبراته :

- إنه يقتل الكل .. إنه يقتلهم .

صاحت (نشوى) فى عصبية :

- لا أحد يمكنه الجزم .

صاحت (سلوى) :

- وماذا عن تلك الضحكة الوحشية ؟!

تجمَّعت الدموع فى عينى (نشوى) ، وهى تواصل عملها ، صارخة :

- لا أحد يمكنه الجزم .

ثم عجزت عن كتمان دموعها ، مع فرط انفعالها ، فتركتها تنهمر على وجهها فى غزارة ، وهى تكرِّر :

- لا أحد يمكنه الجزم .

وأجهشت بالبكاء ..

وفى نفس اللحظة ، التى تساقطت فيها دموعها على لوحة الأزرار ، كانت عينا الطيف تتألقان فى شدة ، على نحو لم يحدث من قبل ، وهو يتجاهل (نور) و (أكرم) تمامًا ، متجهًا نحو أسوار المبنى ، التى استعادت نشاطها الكهربى ، مع عودة التيار ..

وبكل دهشته وتوتره ، غمغم (أكرم) :

- ما الذى ينوى هذا الوغد فعله ؟!

توقَّف الطيف أمام الأسوار بضع لحظات ، يتأمَّلها فى هدوء عَجيب ، جعل (نور) ينهض بدوره ، متسائلاً :

- تُرى هل ...

قبل أن يتمَّ تساؤله ، انتفض جسد الطيف فى عنف ..

ثم أطلق تلك الصرخة الهائلة ..

ومع صرخته ، انطلقت من حلقه كرة هائلة من النار ..

كرة بحجم سيارة خاصة ، انطلقت نحو الأسوار ، وارتطمت بها بمنتهى العنف ..

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل .. ارتج له مبنى المنطقة العلمية العسكرية بأكمله ، وانهار معه جزء ضخم من الأسوار ، لا يقل اتساعه عن ستة أمتار كاملة ..

ومع دوى الانفجار ، صرخت (سلوى) مرة أخرى ، ويدها تندفع نحو أزرار جهاز التحكم الخاص بها :

- سأزيل غلاف الطاقة .

صاحت بها (نشوى) :

- لا .. لا تفعليها يا أمى .. لا تفسدى كل شىء .

صرخت (سلوى) وهى تلوح بسبابتها نحو شاشة الراصد ، التى نقلت الانفجار الهائل ، وما أعقبه من نيران ودخان ، وشرارات كهربية عنيفة ، انطلقت من أطراف الأسوار المكهربة :

- والدك هناك يا (نشوى) .. والدك محتجز خلف غلاف الطاقة ، ويواجه كل هذا هناك .

صاحت (نشوى) :

- ومن يواجهه والدى ، ويسعى لمنعه من إيذاء الآخرين ، سينطلق فى العالم كله ، لو أزلت من أمامه كل العقبات .

انهارت (سلوى) ، وهى تهتف :

- رباه ! متى ينتهى كل هذا ؟! متى ؟!

حدّقت (نشوى) فى شاشة الراصد لحظة ، قبل أن تقول فى صوت مرتجف :

- أمى .. أظن أنه من الأفضل مضاعفة قوة غلاف الطاقة .

رفعت (سلوى) عينيها الدامعتين فى سرعة إلى الشاشة ، ثم انطلقت من حلقها شهقة قوية ..

فما نقلته شاشة الراصد ، وما كان يفعله الطيف القاتل ، فى تلك اللحظة ، كان أمرًا رهيبًا بحق ..

وبكل المقاييس .

★ ★ ★

١١ـ اللحظات الأخيرة..

« دقيقة وسبع عشرة ثانية ، ونصل إلى الهدف .. »

ردّدت طائرات سرب النسور المقاتل هذا النداء ، وهى تشقّ سماء (مصر) ، فى طريقها إلى المنطقة العلمية العسكرية ، وتابع قائد السرب ، فى حزم اعتاده ، بحكم خبرته ومنصبه :

- نطلب تأكيد الأمر بنسف المبنى ، فور بلوغ الهدف .

أتاه صوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى صوت صارم ، لايخلو من نبرة عصبية متوترة :

- الأمر مؤكّد أيها النسور ، مع تأكيد عدم إطلاق الصواريخ إلا فى اللحظة الأخيرة ، ومن أقصر مدى ممكن .

قال قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال :

- سنصل إلى الهدف بعد دقيقة وتسع ثوان من الآن ، وسندور حوله دورة كاملة ، ثم نطلق الصواريخ الحارقة .. هذا أقصى ما يمكننا فعله .

أجابه القائد الأعلى بنفس اللهجة :

ـ فليكن .

ثم أنهى الاتصال ، وعاد يتلفت إلى شاشة الراصد ، الذى ينقل ما يحدث فى ساحة المبنى ، عبر الأقمار الصناعيـة ، متسائلاً فى عصبية :

ـ لقد نسف جزءًا ضخمًا من الأسوار .. لماذا فعل هذا فى رأيك يا دكتور (جلال) ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. ما يقلقنى بحق هو تلك القوى الرهيبة ، التى يسفر عنها فى كل لحظة .. يا إلهى ! من حسن حظ العالم أن يفنى شىء كهذا .. إنه كتلة مجسَّمة من كل شرور الدنيا .

هتف القائد الأعلى فى حدة :

ـ إنك لم تجب سؤالى .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة ، قائلاً :

ـ ها هو ذا يتجاوز الأسوار المحطمة ، ويتجه نحو غلاف الطاقة ، و ...

بتر عبارته فجأة ، ليهتف فى ذعر :

ـ رباه !

دفع هتافه القائد الأعلى للقفز من خلف مكتبه ، هاتفًا :

ـ ماذا تتوقَّع ؟!

ارتجفت سبَّابة الدكتور (جلال) ، من فرط الانفعال ، وهو يلوِّح بها نحو الشاشة ، قائلاً :

ـ لقد أدركها .. ذلك الوحش أدرك قدرته الآن .

هتف به القائد الأعلى ، فى شىء من الذعر :

ـ قدرته على ماذا ؟!

صاح الرجل فى انزعاج شديد :

ـ على اختراق غلاف الطاقة .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يحدِّق فى شاشة الراصد ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

وقفزت يده إلى جهاز الاتصال السرى ، وهو يهتف :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!

هتف الدكتور (جلال):

- إنه مجردُ استنتاج، ولكنه التفسير الوحيد لما فعله الآن.

حدَّق الاثنان فى شاشة الراصد، التى نقلت صورة الطيف، وهو يتجه فى خطوات هادئة واثقة إلى غلاف الطاقة، وتوقَّف على مسافة متر واحد منه، ثم رفع ذراعيه على جانبيه، وانتفخ صدره بنفس عميق، و ...

وفجأة، بدأ جسده يتألَّق ..

ويتألَّق ..

ويتألَّق ..

وصاح الدكتور (جلال):

- رباه! إنه يعدّ جسده لاختراق غلاف الطاقة.

واستدار إلى القائد الأعلى فى ذعر، مستطردًا:

- لو نجح فى تجاوزه، لن تنسفه الصواريخ الحارقة.

ثم ارتجف صوته فى عنف، مضيفًا:

- وهذا يعنى النهاية .. نهايتنا جميعًا.

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما، وهو يحدِّق فيه وفى الشاشة، ثم لم يلبث أن ضغط زر جهاز الاتصال السرى، هاتفًا:

- من القائد الأعلى إلى النسور .. ألغ أمر الانتظار .. أطلقوا الصواريخ الحارقة، فور بلوغ الهدف .. أكرِّر .. فور بلوغ الهدف.

وارتجف جسده كله مع صوته، وهو ينهى الاتصال، ويغلق عينيه مرة أخرى فى قوة، مضيفًا:

- وليرحمنا اللّه (سبحانه وتعالى) جميعًا.

وكان على حق فى كل كلمة ..

بل فى كل حرف ..

★ ★ ★

انتزع (نور) و (أكرم) نفسيهما فى صعوبة، مع الآلام المبرحة، التى انتشرت فى جسديهما، واندفعا نحو تلك الفجوة فى الجدار؛ لمعرفة مايسعى إليه ذلك الطيف الرهيب ..

وعندما بلغا المكان، انبهرت عيونهما بذلك الوهج، الذى ينبعث من جسد الطيف، الذى بدا مستغرقًا تمامًا،

على مسافة متر واحد من غلاف الطاقة ، الذى تألق الجزء المواجه له منه أيضًا ، وكأنما يتجاوب مع ما يحدث فى جسده الطيفى من تغيرات مذهلة ..

وامتقع وجه (أكرم) ، وهو يهتف :

- رباه ! ماذا يفعل ؟! ماذا يفعل ؟!

انفصل عنه (نور) ، وهو يهتف :

- إنه يحاول اختراق غلاف الطاقة .

انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهو يصرخ :

- يا إلهى !

ثم التفت إلى (نور) ، الذى يعدو مبتعدًا بكل قوته ، وصاح به :

- إلى أين ؟!

ولم يجب (نور) سؤاله ..

كان يدخر كل ذرة فى أنفاسه المتقطّعة ، من أجل الهدف الذى يسعى إليه ..

ما زالت هناك زجاجة مياه شرب كبيرة ، فى المبرِّد الموجود فى الساحة الخلفية ..

زجاجة أخيرة ..

وأمل أخير ..

وبكل سرعته ، وبما تبقَّى من جهده ، راح يجرى ..

ويجرى ..

ويجرى ..

وأخيرًا بلغ المبرِّد ، وانتزع الزجاجة الكبيرة منه فى عنف ، ثم انطلق يعدو بها ، عائدًا إلى تلك الفجوة الضخمة فى الأسوار ..

وعندما رآه (أكرم) عائدًا ، فهم كل شىء ، فلوَّح بمسدسه ، صائحًا بكل قوته :

- أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .

استدار إليه الطيف فى تلك اللحظة ، ووجهه يحمل كل غضب ووحشية الدنيا ، فتراجع (أكرم) هاتفًا :

- رباه !

ورفع فوهة مسدسه ، وأطلق منه رصاصتين نحو الطيف ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (نور) لاهثًا ، وهو يحمل الزجاجة الأخيرة ..

وصرخ (أكرم) :

ـ ألق الزجاجة يا (نور) .. ألقها .

رفع (نور) زجاجة المياه الكبيرة بكل قوته ، و ...

ولكن الطيف أطلق صرخة أخرى ..

وارتطم ذلك الشىء الخفى الرخو بجسدى (نور) و (أكرم) بمنتهى العنف ، فانطلقت من كل منهما صرخة ألم قوية ، وجسداهما يطيران فى قوة ، ثم يسقطان على الأرض فى عنف شديد ..

ومع سقوطهما ، طارت زجاجة المياه الكبيرة من يد (نور) ، وسقطت أرضًا ، وتحطمت فى قوة ، وانسكبت مياهها كلها على أرضية ساحة المبنى ..

وفى مرارة شديدة ، هتف (نور) :

ـ لا .. لا ..

ضرب الأرض بقبضته ، وقلبه ينقبض فى شدة ..

لقد خسر فرصته الأخيرة ..

الفرصة النهائية ، لإنقاذ (مصر) والعالم كله ، من وحش آدمى متعطش للدماء كهذا ..

وحاول أن ينهض ..

استنفر كل قواه ليفعل ..

ولكن هيهات ..

ذلك الشىء الرخو الثقيل لم يكتف بلطمهما ، كما يحدث فى كل مرة ..

وإنما استقرّ جاثمًا على صدريهما ..

وفى صعوبة ، تحرّك (أكرم) ، هاتفًا :

ـ ذلك الوغد سيفعلها يا (نور) .

هتف (نور) ، بكل مرارة الدنيا :

ـ للأسف !

تألّقت عينا الطيف فى ظفر ساخر ، وانطلقت من حلقه ضحكة وحشية رهيبة ..

وأمام عيونهما وعجزهما ، استدار مرة أخرى إلى غلاف الطاقة ، وعاد جسده يتألّق ..

ويتألّق ..

ويتألّق ..

وكان هذا يعنى أن (مصر) قد فقدت أملها فى النجاة ..

أملها الأخير ..

★ ★ ★

« رباه ! إنه قادر على اختراق غلاف الطاقة بالفعل .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى رعب ، وهى تتعامل فى سرعة مع جهاز التحكم الخاص بها ، وعيناها معلقتان بشاشته ، فهتفت (نشوى) :

- ألاتوجد وسيلة لتقوية غلاف الطاقة ؟! أو ذلك الجزء منه على الأقل ؟!

هتفت (سلوى) :

- إننى أبذل قصارى جهدى ، ولكن هذا لايفيد .

سألتها مذعورة :

- كيف ؟!

أجابتها (سلوى) ، مشيرة إلى شاشة جهازها فى عصبية :

- ذلك الطيف يستخدم قوة جديدة ، كشف وجودها فى نفسه منذ قليل .

هتفت (نشوى) :

- وما هى ؟!

أجابتها فى سرعة :

- التكيف مع البيئة .

ثم ازدردت لعابها فى صعوبة ، كمحاولة يائسة لترطيب حلقها الجاف ، قبل أن تضيف فى توتر بالغ :

- إن خلاياه تتكيَّف الآن مع الذبذبات الفائقة لغلاف الطاقة ، وكلما زدت من قوة الغلاف ، تزداد خلاياه تكيفًا معه .

هتفت (نشوى) ، فى ذعر يائس :

- إذن فهو سيخترقه حتمًا .

عضت (سلوى) شفتها السفلى فى مرارة ، مجيبة :

- للأسف .

تراجعت (نشوى) فى مقعدها يائسة ، ثم لم تلبث أن انتفضت فجأة ، هاتفة :

- يمكننا أن نكسب بعض الوقت على الأقل .

سألتها (سلوى) ، وهى تواصل عملها فى اضطراب :

ـ وكيف ؟!

هتفت بها :

ـ بمضاعفة قوة غلاف الطاقة أكثر وأكثر .

هزَّت (سلوى) رأسها فى قوة ، هاتفة :

ـ من المستحيل أن نواصل هذا طويلاً ؛ فمع ارتفاع الذبذبة إلى حد معين ، سيختلّ توازن وتماسك المبنى ، وسينهار كله دفعة واحدة .

شحب وجه (نشوى) فى شدة ، وهى تتراجع مرة فى مقعدها ، مغمغمة :

ـ ألا يوجد أمل إذن ؟!

ولم تجب أمها سؤالها هذه المرة ..

فالواقع أنه ، وفى هذه المرة بالذات ، لم يكن لديها جواب .. أى جواب ..

★ ★ ★

انتفض جسد (رمزى) فى عنف ، مع ارتجاج المبنى ، من جراء انفجار وانهيار ذلك الجزء من الأسوار ، واتسعت

عيناه عن آخرهما ، وهو يعتدل من رقاده ، داخل الخزانة الخشبية الكبيرة ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

كان المكان مظلمًا ، إلا أن بصره استطاع تمييز وجه الدكتور (أيمن) المذعور ، على مقربة منه ، فى حين التقطت أذناه صوت الدكتور (عبد الحكيم) ، وهو يقول مرتجفًا :

ـ إنه انفجار آخر .

هتف (رمزى) ، وعقله يستوعب الموقف فى سرعة :

ـ انفجار آخر ؟!

ثم صاح فى حدة :

ـ أين نحن ؟!

أجابه الدكتور (أيمن) مذعورًا :

ـ إننا نختبئ داخل الخزانة الخشبية الكبيرة ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

ـ نختبئ .

ثم دفع باب الخزانة بقدمه فى عنف ، مستطردًا :

ـ اختبئا أنتما ، أما أنا ، فسأنضمّ إلى رفيقىّ .

غمغم الدكتور (عبد الحكيم) :

ـ لو أنهما ما زالا على قيد الحياة .

رمقه (رمزى) بنظرة غاضبة ، وهو يغادر الخزانة الخشبية ، فى حين هتف به الدكتور (أيمن) فى ذعر :

ـ أغلق الباب يا رجل .. أغلقه قبل أن يعثر ذلك الشىء الرهيب علينا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، صفق (رمزى) الباب فى وجهه ، قائلاً :

ـ اذهب إلى الجحيم .

اندفع إلى قاعة التجارب الخاصة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى تلك الفجوة فى جدارها ، ثم أسرع إليها ، وتطلّع عبرها إلى الساحة ، قبل أن يرتدّ فى عنف كالمصعوق ..

فعلى مسافة متر واحد من غلاف الطاقة ، وعبر الجزء المتهدّم من الأسوار ، كان يقف ذلك الطيف الرهيب ، وجسده يتألّق ..

ويتألّق ..

ويتألّق ..

وتلفّت (رمزى) حوله فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ رباه ! (نور) و (أكرم) بحاجة إلىّ .. لا بد أن أخرج من هنا بأى ثمن ..

لمح مجموعة الأسلاك الكبيرة ، التى تمتدّ من الأجهزة إلى الحجرة الزجاجية ، فاندفع نحوها ، وجذبها من الأجهزة فى قوة ، ثم راح يعقدها ببعضها ، وربط طرفها فى أحد الأجهزة الثقيلة ، ثم اندفع بالطرف الآخر نحو فجوة الجدار الكبيرة ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ أتعشمَ أن تكفى .

قالها ، ثم وثب عبر الفجوة الكبيرة ، دون لحظة واحدة من التردّد ..

ومن ارتفاع ثلاثة طوابق ، هوى جسده ، وهو يقبض على طرف السلك بكل قوته ..

ثم انتفض جسده فى عنف ، عندما بلغ السلك نهايته ..

على ارتفاع أربعة أمتار من الأرض ..

ودون ذرة من التردُّد ، أفلت (رمزى) طرف السلك ..

وترك جسده يقطع تلك الأمتار الأربعة ، ليسقط أرضًا ، ويتدحرج فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام ، التى انتشرت فى جسده كله ، هبَّ واقفًا على قدميه ..

وفى نفس اللحظة ، رأى جسدى (نور) و (أكرم) يطيران فى الهواء ، ثم يرتطمان بالأرض فى عنف .

ورآهما يعجزان عن النهوض ثانية ، فى حين عاد جسد الطيف يتألَّق ، وهو يقف على مسافة متر واحد من غلاف الطاقة ..

وبعينيه المذعورتين ، رأى جزءًا من غلاف الطاقة يتألَّق أيضًا ..

وبعقليته العلمية ، أدرك (رمزى) الموقف كله ..

الطيف يحاول اختراق غلاف الطاقة ..

وكل شىء يوحى بأنه سينجح فى هذا ..

تمامًا ..

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يتساءل فى أعماقه : ماذا يمكن أن يفعل ؟!

كيف يواجه وحشًا رهيبًا كهذا ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

ثم فجأة ، استعاد عقله صورة ما ..

صورة جعلت جسده كله ينتفض فى عنف ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! ربما !

انطلق يعدو ، دون أن يضيع ثانية واحدة ، إلى الساحة الخلفية للمبنى ، وتوقَّف لحظة ، ليلقى نظرة على سيارة النقل الخاصة ، التى تحمل النيتروجين السائل ، قبل أن يهتف :

ـ نعم .. ربما كان هذا هو السبيل الوحيد ..

وثب داخل السيارة ، وخفق قلبه فى ارتياح ، عندما رأى لوحة قيادتها مضيئة ، ثم ضغط أزرارها ، وهو يمسك مقودها فى قوة ، هاتفًا :

ـ ساعدنى يا إلهى ! ساعدنى يا إلهى !

ضغط دوَّاسة الوقود بكل قوته ، وانطلق بالسيارة الكبيرة ، عبر الساحة الخلفية للمبنى ، وانحرف بها فى

حدة ، لينطلق بها عبر الساحة الأمامية ، ونحو تلك الفجوة الكبيرة فى الأسوار ..

ولمحه (نور) و (أكرم) ، وهما عاجزان عن النهوض ، فهتف الثانى فى انفعال :

- رباه ! إنه (رمزى) .

وانعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ترى ما الذى ...

قبل أن يتمّ عبارته ، أدرك عقله فجأة ما يسعى إليه (رمزى) ، فصاح فى حماس وانفعال :

- أسرع يا (رمزى) .. أسرع بالله عليك .

وصرخ (أكرم) :

- اقتله يا رجل .. اقتله .

انطلق (رمزى) بالسيارة ، متجاوزًا رفيقيه ، ومتجهًا نحو الفجوة ، و ...

وفجأة ، استدار إليه ذلك الطيف ..

ثم أطلق صرخته ..

ومع الصرخة ، انطلقت كرة من النار ، نحو السيارة الكبيرة ، فاتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- رباه !

وبحركة غريزية ، أدار مقود السيارة ، فى محاولة لتفادى كرة النار ، فانحرفت السيارة الكبيرة على نحو حاد للغاية ، وبدا لحظة وكأنها قد تجاوزت الكرة الملتهبة ..

ولكن الكرة ارتطمت بالأرض على مسافة متر واحد منها ..

وانفجرت ..

ومع موجة التضاغط الناشئة ، مالت السيارة الكبيرة فى عنف ، وعلى نحو بالغ الخطورة ..

ثم انقلبت على جانبها ، وارتطمت بالأرض ..

وبمنتهى العنف ..

وعضّ (نور) شفتيه فى مرارة ، فى حين صرخ (أكرم) فى غضب ساخط يائس :

- لا .. ليس الآن ..

كان ارتطام السيارة بالأرض عنيفًا للغاية ، حتى إن خزانها قد انفصل عنها ، وتدحرج فى بطء ، حتى ارتطم

بذلك الجزء المحطَّم من الأسوار فى حين دفع (رمزى) جسده خارج كابينتها ، وهو يهتف فى مرارة :

ـ يا إلهى .. لقد فشلت .. لقد فشلت .

لاحت طائرات سرب النسور من بعيد ، كنقاط مضيئة صغيرةً ، فى قلب السماء ، فى حين أطلق ذلك الطيف ضحكة ساخرة عالية ، واستدار فى لامبالاة ، ليتألَّق جسده مرة أخرى ، استعدادًا لاختراق غلاف الطاقة ..

وفى توتر ولهفة ، هتف (نور) :

ـ الخزان .. الخزان يا (أكرم) .

التقط (أكرم) العبارة فورًا ، فالتقط نفسًا عميقًا ، ورفع مسدسه نحو طرف الخزان ، عند الجزء المحطَّم من الأسوار تمامًا ، وهو يقول فى غضب شديد :

ـ استعدَّ أيها الوغد .. سأرسل إليك جحيمًا جديدًا ، لم تعرفه خلاياك القذرة من قبل .

نطقها ، ثم ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

انطلقت كلها لترتطم بخزان النيتروجين السائل فى موضع واحد ..

ثم اخترقته دفعة واحدة ..

ومع اختراقها لجدار الخزان ، اندفع منه النيتروجين السائل فى قوة ، حطَّمت جانب الخزان كله ، لتطلق طنًّا من النيتروجين السائل ، نحو الطيف ، فى نفس اللحظة ، التى همَّ فيها باختراق غلاف الطاقة ..

وارتطم النيتروجين السائل بالطيف ..

وانتفض جسد هذا الأخير فى عنف ، ثم ارتسمت على وجهه أمارات رعب هائل ، انطلقت فى شكل صرخة هائلة ، تحمل أطنانًا من الذعر والألم ..

وفى سرعة ، وفى مشهد رهيب ، تجمَّد جسده كله من أسفل إلى أعلى ، وتحوَّل فى لحظة واحدة إلى تمثال من الثلج ، مازال وجهه يحمل كل رعب وألم الدنيا ..

وهنا هتف (أكرم) :

ـ هيا .. مت .

ومع قوله ، أطلق آخر رصاصات مسدسه ..

وأصابت الرصاصة ذلك الجسد ، الذى حوَّله التجمّد إلى كيان هش ضعيف التماسك إلى حد كبير ..

وانفجر الجسد الثلجى فى عنف ..

انفجر ما كان طيفًا منذ لحظة واحدة ، وتناثرت شظاياه لتغمر منطقة واسعة ، والنيتروجين يتبخَّر من حولها بسرعة مذهلة ..

ومع انفجار الطيف ، ران على الكل صمت رهيب ..

صمت استغرق ثانية واحدة ، وكأنما لا يصدِّق أحد ما حدث ..

ثم انفجر الكل دفعة واحدة ..

(أكرم) أطلق ضحكة هستيرية ظافرة ، بعد أن تحرَّر من ذلك الثقل الجاثم على صدره ، بانفجار الطيف ، ولوَّح بمسدسه ، صارخًا :

ـ لقد فعلتها .. لقد قتلت الوغد .

أما (نور) ، فقد أغلق عينيه ، مغمغمًا :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وفى الوقت الذى وقف فيه (رمزى) جامدًا مبهورًا ، كانت (سلوى) و (نشوى) تتعانقان فى حرارة ، ودموع الفرح والسعادة تغمر وجهيهما ، فى حين وثب القائد الأعلى إلى جهاز الاتصال السرى الخاص ، وضغط زره ، صارخًا :

ـ من القائد الأعلى إلى النسور .. ألغيت المهمة .. لا تطلقوا الصواريخ النارية .. أكرِّر .. ألغيت المهمة .

مضت لحظة من الصمت ، كاد قلبه ينخلع خلالها ، قبل أن ينبعث من جهاز الاتصال السرى صوت قائد سرب النسور ، وهو يقول :

ـ عُلِم وسينفذ .. المهمة ألغيت ، ونحن فى طريقنا للعودة .

تنفس القائد الأعلى الصعداء ، واسترخى فى مقعده ، ووجهه يحمل ابتسامة ارتياح كبيرة ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها سرب النسور ، عائدًا إلى قاعدته ، وعبرت مقاتلاته فى مشهد رائع مهيب ، أمام قرص الشمس الضخم ، الذى بدأ رحلة الغوص فى الأفق ، معلنًا نهاية يوم طويل رهيب ..

يوم شهد أعنف مواجهة عرفها (نور) وفريقه ..

مواجهة كان الخصم فيها طيفًا نصف شفاف ..

مجرَّد طيف .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

الطَّيف

سلسلة الأعداد الخاصة

ملف المستقبل
سري جدًّا !!

الطَّيف

د. نبيل فاروق

- كانت مجرَّد تجربة جديدة ...
- تجربة أجرتها الجهات العلمية العسكرية ، على قاتل يواجه حكم الإعدام ، للحصول على نتائج جديدة ، حول تطوير وتقوية الخلايا البشرية ..
- ثم حدث خطأ مفاجئ ...
- خطأ أضاف إلى التجربة نصف مليون فولت دفعة واحدة ..
- وجاءت النتائج رهيبة ..
- وإلى أقصى حد ..
- وداخل مبنى مغلق ، واجه (نور) و (أكرم) وفريقهما طيفًا قاتلاً مجنونًا ، يسعى لإزهاق الأرواح وإراقة الدماء ..
- وكانت مواجهة بلا هوادة ..
- وبلا رحمة .

الثمن في مصر ٣٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع